

## الفصل الأول

شعر المناسبات الدينية في  
"النصف الأول من القرن العشرين"



## مفهوم شعر المناسبات ودلالاته

الشعر نبض الحياة ، وترجمان العواطف والأحاسيس والمشاعر ، و "الشعر هو الذى يعبر عما انطوت عليه النفس من عواطف وآمال وآلام ، وما يسبح فيها من المعانى الحائرة ، وما تتشق عبابه من الذخائر المعنوية المتلاطمة المتموجة فى هذا الكون ، وهو الذى يجلى لنا ما فى الحياة من أسرار ، وما كمن فى طياتها من آيات للخالق"<sup>(١)</sup> .

والشاعر لا ينطق بالشعر إلا عندما يشعر بنفسه ، وبما يحيط به من طبيعة وكون زاخرين بالجمال والجلال ، ومملوئين بالأحداث والمناسبات التى تلح عليه ، وتدفعه إلى نظم الشعر والنطق به .

لذا نراه يحدثنا عن مشاعره الخاصة ، ويعبر عن ميوله ونوازعه ، ويحكى لنا عن تطلعاته وآماله ، وما يعتمل داخل نفسه من سخط أو قبول ، مما يجعل الأدب - بحق - مرآة صادقة ناصعة تنعكس عليها حياة أهله ، وما تأثروا به من أحداث عامة ، وظروف خاصة .

وإذا كان موضوع دراستنا هذه ، يتصل بالأدب المصرى فى العصر الحديث ، فإنه ينبغى أن ندرك ، أن هذه الفترة ، كانت فترة غليان واضطراب فى أركان الدولة ، فمنذ دخول الحملة الفرنسية أرض الوطن فى عام ١٧٩٨م ، وحتى عام ١٩٥٦م وهو العام الذى نالت فيه مصر حريتها واستقلالها ، والثورات لم تهدأ ، والنيران لم تنطفىء ، والأحزاب فى حالة من الخلاف والشقاق .

١ . صفحات من الأدب المصرى ، د. عبد الحميد حسن ، ط دار الفكر العربى الأولى/ ١٦٦ .

وقد كان للشعر دوره فى كل هذه الأحداث والصراعات ، فهو الذى مهد الطريق للثورات ، وأشعل نيرانها ، وانصهر انصهاراً فى أرض المعارك الدامية ، متأثراً بالحياة ، وما كانت تموج به من حركة واضطراب ، معبراً عن كل ذلك بشعر صادق رسم ملامح الحياة والأحياء فى كل مرحلة من المراحل .

لهذا يحق لنا أن نقول : إن الأدب بعامه ، والشعر بخاصة ، كانت ومازالت له صلة قوية بالحياة ، فقد مثل حياة الأمم والشعوب فى الأجيال المتعاقبة تمثيلاً دقيقاً ورسم لنا ملامح الأجيال المتلاحقة بكل دقة وأمانة ، بل إنه جاوز ذلك كله ، فحدثنا عن هواجس النفوس ، وأسرار القلوب ساعة الرضا والغضب ، وساعة الإقبال والإدبار ، وساعة الأمن والخوف ، فحقاً إن الشعر هو ديوان العرب ، الذى جمع فأوعى ، "فلاغرو إذن أن يتخذة اللابس جمالاً ، والمدخر مالاً ، وأن يصير قرطة الأذان ، وقلائد الأعناق ، وأمالي النفوس ، وأكاليل الرؤس"<sup>(١)</sup> .

ونحن عندما ننظر إلى بداية القرن العشرين ، نجد أنه كان نهضة كبرى للوطن فى مختلف المجالات وشتى الميادين ، وأن الشعراء قد خاضوا بأشعارهم معركة النضال ، وجالدوا فى كل الميادين ، وأبلوا أحسن البلاء ، وكانوا من أهم أجهزة المقاومة ، وأمضى أسلحة النضال الذى خاضته مصر ضد الاحتلال ، حيث تناولوا بأشعارهم كل ما عن لهم ، وكل ما وقع ويقع لوطنهم من أحداث ، فى شعر يبعث الحماس والحمية فى نفوس الشعب ، فكانوا بحق هم حداة المسيرة .

١ . العمدة ، ابن رشيق القيروانى ، ط دار الجيل ، ج١ / ٢٠ ، بتصرف يسير .

وحيث تشبعت روح هذه الفترة بتلك الأحداث ، وتناولها الشعراء بشعرهم ، حلا لبعض النقاد أن يصم الشعر فى العصر الحديث ، بأنه غلبت عليه دوافع المناسبات، وأنه شعر مفتعل لا عاطفة فيه للشاعر، ولا أهمية له بالنسبة للمجتمع<sup>(١)</sup>.

وقد حان الوقت أن نقف وقفة حول مفهوم شعر المناسبات عند مختلف النقاد ، محاولين إلقاء الضوء عليه ، وعلى الميادين التى ولجها ، وعلى مقصد الشاعر من النظم فى هذا اللون الأدبى .

ولنبداً ببيان مفهومه عند الديوانيين ، وعلى رأسهم : العقاد ، والمازنى ، وشكرى ، وهؤلاء يرون أن شعر المناسبات الاجتماعية يعنى به : شعر الحوادث اليومية ، مثل : افتتاح خزان أو بناء مدرسة ، أو حملة جراد ، أو حريق ، أو زيارة ملك ، أو حفلة فى ناد للألعاب ، أو مجئ طيار .

ونلاحظ على المفهوم السابق : أن الديوانيين قد حددوا لشعر المناسبات بعض الحوادث اليومية العادية ، والتى غالباً ما تخلو من حرارة العاطفة ، وصدق الشعور، إذن فليست كل المناسبات مرفوضة من وجهة نظرهم .

ويشير الدكتور/ على الجندى – وهو من المحافظين – إلى مفهوم شعر المناسبات فيقول : إن شعر المناسبات هو ذلك الشعر الذى ينظم بهذه الروح التى يغنى بها الشاعر آلامه النفسية من الأعماق<sup>(٢)</sup>.

١ . راجع : شعر المناسبات فى العصر الحديث بمصر ، د. سالم عواد حشيش (رسالة دكتوراة سنة ١٩٩٢م) ص ٢٠١ .

٢ . راجع : مقدمة "الحن الأصيل" ، ص ٨ ، ط دار الفكر العربى سنة ١٩٥٠م .

فشعر المناسبات عنده معاناة وامتزاج لنفس الشاعر بأحداث الحياة ، واستيعاب لها ، حتى إذا ما عبر الشاعر عن آلام وطنه كان تعبيره مطابقاً لما تشعر به نفسه ، وإذا عبر عن آلام نفسه ، كان صورة صادقة لما يعاينه الوطن من آلام وضغوط .

ويحدد الدكتور/ محمد خلف الله أحمد مفهوم شعر المناسبات بأنه : هو ما تفجر إثر مناسبة بعينها<sup>(١)</sup> .

ونلاحظ على هذا التعريف ، أنه لم يحدد نوع المناسبة ، مما يفسح المجال أمام الشعراء لأن يقولوا فى كل مناسبة ، والمهم أن يتوفر عندهم صدق الشعور ، وحرارة الوجدان .

ويرى الأستاذ الدكتور/ محمد غنيمى هلال ، أن شعر المناسبات يعنى به : شعر الأحداث الجارية ، وأصدائها فى النفوس ، بما لها من صبغة قومية أو سياسية وفيها لا يتوجه الشاعر إلى ممدوح يشيد به ، أو يغض من شأن أعدائه بالمدح أو القدح ، كما لا يقصد بشعره زلفى أو عطاءً ... وإنما يتوجه الشاعر – بشعر المناسبات عموماً – إلى الشعب يتغنى معه بما يريد ، ويقود وعيه لتحقيق ما يستطيع ، فيبين الإرادة وتحقيقها فى حدود الاستطاعة ، ويقوم شعره بتعبئة القوى ، وجمع الشمل ، وتنمية المشاعر الكريمة ، وتنبيه الوعى الغافل<sup>(٢)</sup> .

١ . راجع : من الوجهة النفسية فى دراسة الأدب ونقده/ ١٥٤ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م .

٢ . دراسات ونماذج فى مذاهب الشعر ونقده/ ١٣٣ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .

وفى النفس شيء من الرأى السابق ؛ ذلك أنه يرى أن الشاعر لا ينبغي له أن يتوجه بشعره - فى المناسبات المختلفة - إلى ممدوح معين يشيد به ، ويغض من شأن أعدائه ، وإنما يتوجه به عموماً إلى عامة الشعب ، يتغنى معه بما يريد .

ولست أجد بأساً على الشاعر إذا ما توجه بشعره فى مناسبة أو أكثر إلى شخص بعينه ، خاصة إذا كان هذا الشخص يستحق التكريم والإشادة به ، أو كان هو مصدر القوة والمنعة بالنسبة لتلك الجماعة ، أو هذا الشعب .

ولا أرى مانعاً - كذلك - من أن يمزج الشاعر - فى مناسباته - بين المدح والتغنى بإرادة الشعوب وآمالها ، فقد يكون فى الجمع بين المدح والتغنى بحاجة الأمة ، ما يدفع الممدوح ويهز نخوته ، فيجعله يسارع إلى تحقيق طموحات الشعب وآماله .

ولعل مما يؤيد ما ذهبنا إليه قول الدكتور/ رزق داود : "مما يتصل بالشعر الاجتماعى : شعر المناسبات ، وهو كثير بصورة تلفت النظر... فإذا مدح الشاعر ذا سلطان ؛ لأنه قدم لوطنه يداً ، أو يسر لمواطنيه ما صعب من أمور حياتهم ، وبذل من أجلهم كل ما يملكه من قوة وطاقه ، وأحس الشاعر بهذه الفضائل تملأ أقطار نفسه ولاءً وحباً لهذه الممدوح ، فلا يعاب على الشاعر أن يمدحه عند ذلك ، فالشعر خاطر ، لا يزال يجيش بالنفس حتى يجد متنفساً ، ويصيب مخرجاً"<sup>(١)</sup> .

كما أن الدكتور/ محمد غنيمى هلال قد أهمل "المناسبات الخاصة" التى تقع للشاعر ، فلم يشتر فى كلامه إلى تلك المناسبات التى تتفجر داخل نفسية الشاعر ،

١ . محمد هاشم رشيد أضواء على شعره وشاعريته ، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣م / ٤٩ ، مطبعة الأمانة .

فقد ينظم الشاعر فى ذلك شعراً رائعاً ، وعند ذلك لا يصح منا أن نجبره على أن يتوجه بشعره فى مثل هذه المناسبة إلى الشعب ؛ إذ من حقه أن ينظم فى أموره الخاصة التى تحرك شاعريته<sup>(١)</sup> .

ولعل من الأمور المهمة – بعد حديثنا عن مفهوم شعر المناسبات – أن نعرض الخلاف الذى دار حول شعر المناسبات ، لنقف على وجهات النظر المختلفة حول هذه القضية .

فى الحقيقة إن قضية "شعر المناسبات" تعد من القضايا النقدية المهمة ، والتى دار حولها كثير من الجدل والنقاش فى العصر الحديث ، وبطبيعة الحال أن نجد النقاد أمامها فريقين ، فريقاً يرفض هذا اللون الشعري ، وفريقاً يرضى عنه ويؤيده ، ولكل وجهة هو مولياها .

ونريد أن نؤكد هنا – قبل ذكر الخلاف – على قدم هذا اللون الفنى ، فشعر المناسبات له جذوره القديمة الموعلة فى القدم ، وهى جذور قوية امتدت وتفرعت حتى غطت كل العصور الأدبية ، بدءاً من عصر الريادة الجاهلى ، وحتى العصر الحديث ، فـ "المعتاد دائماً فى هذا الشعر أن ينظم بمناسبة من المناسبات ، وكانت مناسباته فى عصوره القديمة والوسطى فردية"<sup>(٢)</sup> .

١ . راجع : مجلة الشعر ، العدد ٧١ ، سنة ١٩٩٣م / ٦٥ .  
٢ . شوقى شاعر العصر الحديث ، د. شوقى ضيف ، ط ١٩٩٥م / ١٣٤ ، دار المعارف بمصر .

شعر المناسبات إذن أشبه ما يكون بشجرة عظيمة ، امتدت جذورها وفروعها إلى شرق الأرض وغربها ، وشمالها وجنوبها ، حتى أصبح من العسير أن يقتلعها شخص ، أو ينال منها شيئاً .

وسوف نعرض الآن آراء النقاد حول هذه القضية :

يرى الناقد عبد الرحمن شكرى : أن شعر المناسبات ، نظم خارج عن أصول الشعر وحقيقته ، ويشجبه قائلًا : إنه ليس أدل على فوضى الأدب ، وفساد ذوق الجمهور من هذا الهراء ، وكأنما الشعر جريدة منظومة ، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان . وإنما الشاعر هو الذى يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس ، ويضرب على كل وتر من أوتارها ، والذى تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقه نسيمة ، وينعشها بنفحاته ، ويسمعها من ألقانه ، ويريق عليها من ضيائه ويرفعها عن منزلة البهم إلى منزلة الآلهة<sup>(١)</sup> .

وهى رؤية معتمدة – كما نرى – تحاول قتل شعر المناسبات وإخلاء ساحة شعرنا العربى منه ، بحجة خلوه من الصدق فى الشعور ، وكونه مفتعلًا رديئًا لا خير فيه ، ولا فائدة منه .

ويرى المازنى : أن شعر المناسبات ليس من الشعر فى شيء ، وحكم بأن بيتاً واحداً لشكرى يفضل كل ما قاله حافظ إبراهيم فى مناسباته<sup>(٢)</sup> .

١ . ديوان شكرى ، جمع وتقديم/ نقولا يوسف ، ط ١٩٦٠م / ٢٨٩ .  
٢ . الحوار الأدبى حول الشعر ، د. محمد أبو الأنوار ، الطبعة الثانية ١٩٨٧م / ٤٦٦ دار المعارف نقلاً عن صحيفة عكاظ ١٩١٣/٨/٨م .

وهذا الرأى فيه كثير من الإسراف والإجحاف فى إطلاق الأحكام ؛ ذلك لأن (حافظ إبراهيم) قال شعراً فى المناسبات المختلفة لا يقل جودة عن غيره من الأشعار ، وأنه تميز فى شعره فى المناسبات بسمو الغاية ، ونبل المقصد .

ورغم أن العقاد كان أول من أثار هذه الصيحة حول شعر المناسبات ، نجد لرأيه بعض الارتياح ، فهو يرى أنه لا تهمة للشعر إذا حدثنا عن الاجتماعيات والحماسيات والحوادث التى تلهج بها الألسنة ، والصيحات التى تهتف بها الجماهير ولكن الشاعر إذا نظم فيها ينظم بالدوافع الحق للإبداع الفنى ... أى لا يكون خاضعاً لأى اعتبار آخر خارج الروح الفنية وبواعثها<sup>(١)</sup> .

وهكذا نرى العقاد ألىن قولاً ، وأسلس توجيهاً من زميله فيما يتصل برأيه فى شعر المناسبات .

ولما كانت هذه هى وجهة نظر الديوانيين فى شعر المناسبات ، فقد حاربوه ، وحاربوا كل شعر يمت إليه بصلة ، وصبوا جام غضبهم وسخطهم على كل من نظم من الشعراء فى هذا الجانب ، وعلى رأسهم أمير الشعراء "أحمد شوقى" الذى كان "يصلى نقداً حامياً منهم ، وكان يتهم بأنه شاعر التقليد ، وشاعر الخديوى ، وشاعر المناسبات ، وشاعر الصنعة والتكلف"<sup>(٢)</sup> .

وفى مقابل هذا هذا الاتجاه الرافض لشعر المناسبات ، نجد أتجهاً آخر يبدو أكثر تسامحاً معه ، وأنصار هذا الاتجاه كثيرون ، وسوف نذكر هنا أقوال بعضهم ،

١ . السابق/ ٤٦٩ .

٢ . جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٩٧/٦/٢٧م من مقال للأستاذ/ أحمد بهجت تحت عنوان "صندوق الدنيا" .

مكتفين بها عن أقوال بعض الذين لم يذكروا ؛ نظراً لأنها تحمل وجهة نظرهم جميعاً.

ذهب الدكتور/ على الجندي إلى أن شعر المناسبات يعد من صميم الشعر وأجوده<sup>(١)</sup>.

ويرى الدكتور/ محمد خلف الله أحمد ، أنه من روائع الشعر، ويثقل له بقصيدة حافظ إبراهيم في مظاهرة النساء التي حدثت عام ١٩١٩م ، ويقول : " وإن من آيات التنزيل ما كان وليد المناسبات " .

ولا يرى الدكتور/ محمد غنيمي هلال عيباً في ارتياد الشاعر شعر المناسبات ؛ لأنه يقود وعى الأمة ، وينمي فيها المشاعر الكريمة ، والإحساس بالأشياء الصغيرة التي قد لا تنتبه إليها .

ومن خلال هذا العرض السريع نستطيع أن نقف على مدى أهمية هذا اللون الشعري في المجتمع في شتى العصور ، وما قام به من بث للحماس والحمية في نفوس الشعب ؛ لدرء المظالم ، ومحاربة الفساد بكل أشكاله ، ثم هو نقد لحياة الأفراد ، وتوجيه لهم إلى الطريق السوي ، وندرك كذلك أنه ليس كل شعر المناسبات ضعيفاً ومتكلفاً ، بل منه ما بلغ الغاية العالية ، وحقق المقاصد والأهداف النبيلة .

لذا أرى أن نتقبل هذا اللون الشعري بقبول حسن ، وأن نفتح له صدورنا ، فالذي لا شك فيه أنه شعر ككل الشعر ، وأنه لا يخلو من الألفاظ الرشيقة ، والمعاني اللطيفة ، والأخيلة الخصبة الرائعة ، وكيف لا نتقبله ولا نفتح له صدورنا ، وهو إفران

١ . مقدمة " ألحان الأصيل " ، طدار الفكر العربي / ٨ .

المجتمع الذى يعيش فيه الأديب ويتأثر به ، خاصة إذا كنا ندرك تمام الإدراك " أن الأديب لا يسقط على مجتمعه من السماء ، ولا يعيش فى برج عاجى بعيداً عنه ، إنه ينشأ فيه ، ويصدر عنه ، وينتج مادته الأدبية من مسموعاته وإحساساته ومرئياته ، ويعكس مشاعر مجتمعه وبواعثه ونوازعه ، ولذا فإن صلة الأدب بالمجتمع وثيقة ؛ إذ لا يوجد أدب بدون مجتمع ينبثق منه"<sup>(١)</sup> .

وقد نستريح إلى هذا اللون الشعري أكثر ، إذا علمنا " أن معظم النقد الذى وجه إليه لم يكن حقاً كله ، بل كان معظمه تحاملاً واعتسافاً ، فإن الشعور وجدانى انفعالى لا سلطان لأحد على شاعرية الشاعر عند نظمه لشعره ، حتى الشاعر نفسه ، وهو إن فعل ذلك : فترت فقريحته ، وتبلد حسه .

والأمر الذى لا شك فيه : أن المقاييس التى وضعها أصحاب الديوان للشعر ، وأرادوا تطبيقها على شعر المناسبات لم يكن يقصد بها إلا التحامل ، ومحاولة الهدم؛ لأنها – فى الغالب – لم تقف عند حدود النقد والأدب ومقاييسه ، واستنباط المقاييس مما يوجد فى الشعر ، بل كان الغالب على تلك المقاييس أنها مجتلبة من آداب ومذاهب نقدية لا تمت إلى نقدنا العربى وآدابنا العربية بصلة ، إضافة إلى الهوى والتحامل الذى غلف كل ذلك ، مما أسبغ جواً ضبابياً على الحياة الأدبية والنقدية فى تلك الفترة"<sup>(٢)</sup> .

١ . البحث الأدبى ، د. شوقى ضيف ، الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م / ص ٩٦ ، دار المعارف بمصر .  
٢ . شعر المناسبات فى العصر الحديث بمصر ، د. سالم عواد حشيش / ص ٧ .

وقد تتغير نظرنا إلى شعر المناسبات ، ونفتح له قلوبنا وعقولنا ، إذا علمنا أن العقاد قد رجح عن أحكامه التي كان قد أصدرها ضده خلال معاركه النقدية الحامية "واعترف بأنها كانت من حماقة الشباب ، ولم يتنكر هو ولا غيره لإمارة شوقى فى الشعر، ولا للتاج الذى خلعه الأدياء على جبين حافظ ، وهو شاعر النيل"<sup>(١)</sup> .

فالمناسبة فى ذاتها لا تضعف الشعر ولا تحط من قدره ، وإنما ذلك متوقف على صدق الشاعر وأصالة تعبيره ، وبلوغه أعماق النفوس بآيات بيانه .

١ . الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ، د. على على صبح ، ط ١٩٨٧م/ ٣٦ وما بعدها .



## محاوّر شعر المناسبات الدينية فى "النصف الأول من القرن العشرين"

تبدأ هذه المرحلة من مطلع القرن العشرين حتى عام ١٩٥٠م ، وهى فترة الغليان السياسى ، والثورة الشاملة على كل مفاهيم الحياة ، وقد نشأ كثير من شعراء الأزهر فى هذه الفترة ، وعاصروا الأحداث السياسية الهامة ، كحادثة دنشواى الشهيرة ١٩٠٦م ، وأخذوا ينظمون القصائد فى البكاء على أصاب تلك القرية ، والتشهير بأعمال الإنجليز ، وعاصروا ما حدث بعد ذلك من موت للزعيم الوطنى "مصطفى كامل" ، ونشوب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) وثورة ١٩١٩م ، وما ترتب على ذلك من فرض الحماية التى فرضتها انجلترا فى الثامن عشر من ديسمبر سنة ١٩١٤م ، والتى قبلتها ألمانيا ضمن شروط الصلح ، وما تبع ذلك من تصريح الثامن والعشرين من فبراير سنة ١٩٢٣م ، وإعلان استقلال مصر ، والمناذاة بالسلطان فؤاد ملكاً لمصر ، وتأسيس حزب الأحرار الدستوريين ، ووفاة "سعد زغلول" ، ومعاهدة ١٩٣٦م ، والحرب العالمية الثانية ، وحرب فلسطين عام ١٩٤٨م ، وقد تركت هذه الأحداث بصماتها عليهم إيجاباً وسلباً<sup>(١)</sup> .

لقد عاصر شعراء الأزهر هذه الأحداث السياسية ، وعاشوا ما واكب هذه الأحداث اجتماعياً ، وفكرياً ، فلقد تغيرت التركيبة الإجتماعية للمجتمع المصرى

١ . راجع : ثورة ١٩١٩م تاريخ مصر القومى من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١م ، عبد الرحمن الرافعى/ ص ٣٣٢ ، ط ٤ دار المعارف .

بعد ثورة ١٩١٩ م ، والتي خاضت غمارها البرجوازية المصرية التي كانت قد اكتمل نموها إلى حد بعيد خلال تلك الحقبة (١) .

ومما يدلنا على التقدم الاجتماعي في مصر في بدايات النصف الأول من القرن العشرين ، انضمام طبقات الموظفين والفلاحين واشتراكهم في ثورة ١٩١٩ م ، فإن أحداً لم يكن يتوقع أن يشترك الموظفون في الحركة الوطنية ، ويسهموا فيها إلى درجة الاحتجاج على نظام الحكومة ، ثم الإضراب عن العمل لغرض سياسى ، أما عن طبقة الفلاحين فلم يكن أحد يتوقع أن يشترك الفلاح الساذج البعيد بفطرته عن غمار السياسة بعواصفها ، ويندمج فيها إلى درجة الثورة ، وخلع قضبان السكك الحديدية ، وقطع طرق المواصلات ، وبذل الروح فداءً للوطن .

وكما عاصر شعراء الأزهر هذه الأحداث - خلال النصف الأول من القرن العشرين فقد عاصروا كذلك دعوات الإصلاح التي كانت تملأ سمع الوجود ، وكيان الأمة ، وذلك فى فروع الفكر والحياة ، كالدعوة إلى صحوة الشرق ووقوفه أمام المستعمر الذى كرس كل جهوده ضد الأمة الإسلامية وتراثها ، وكالدعوة إلى إصلاح الأزهر وضرورة خوضه تجربة العصر الحديث بفكر إسلامى صحيح ، ونبذ ماران عليه من تخلف وجمود وتكلف ، وكالدعوة إلى تحرير المرأة ، وخروجها للمجتمع لطلب العلم ، وكالدعوة إلى تعريب التعليم ، والاهتمام بالتجربة المصرية فى هذا

١ . الاتجاه الواقعى فى الرواية العربية الحديثة فى مصر ، د. حلمى بدير/ ص ٤٢ ، ط أولى - دار المعارف .

المجال ، وكالدعوة إلى إنشاء جامعة كمطلب ملح يواجه التقدم العلمى ، وكالدعوة إلى المصرية ، وهى نتيجة مباشرة لنمو الفكر المصرى<sup>(١)</sup> .

وكما عاصر شعراء الأزهر - خلال هذه الفترة - الأحداث السياسية ، والتغيرات الاجتماعية والفكرية ، فقد عاصروا - كذلك - ظواهر أدبية مهمة ، وقد تمثلت هذه الظواهر فى المدارس الأدبية كمدرسة المحافظين ، ومدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ، والمدرسة المهجرية .

إنها أحداث سياسية ، وظواهر اجتماعية ، واقتصادية ، ومدارس وجماعات أدبية وفكرية ظهرت فى أوائل القرن العشرين ، وعاشها شعراء الأزهر ، وتأثروا بها تأثراً واضحاً ، وكان لكل شاعر منهم عالمه الخاص ، وتكوينه الذاتى الذى ظهر على إنتاجه الأدبى "ومن الأدباء من يتصلون بوسطهم أدق اتصال حتى لكأن آثارهم تعكس بيئتهم والفصول التى تأتلف منها عكساً دقيقاً ، وقد يبدأ الأديب متأثراً بوسطه ، ثم يتضائل فيه هذا التأثير كلما تقدم فى سنه ، فهو يبدأ مفعماً بما كانت تحمل إليه حواسه منه ، ثم يقل ذلك فى نفسه مع الزمن ، إذ يغلب عليه الاستمرار من داخله ، ومن عقله وتأملاته"<sup>(٢)</sup> .

وقد بدأت بواكير اليقظة لدى الأمة العربية يظهر صداها خلال هذه المرحلة ، فالاستعمار لا يزال جائشاً فوق صدر الأمة العربية ، وقد سلب حريتها ، وحطم مواردها المختلفة ، وأرهق عامة الشعب بضرائبه وويلاته الفادحة ، فى حين أن

١ . نفس المصدر السابق / ص ١٠٨ .

٢ . فى النقد الأدبى ، د. شوقى ضيف / ص ٥٩ ، ط دار المعارف السابعة سنة ١٩٨٨ م .

الأمم من حولها فى تقدم مستمر، مما دفع الأمة العربية إلى استجماع أمرها، وتوحيد كلمتها، وعزمها على النهوض والتقدم على الرغم من كل القيود والأغلال، التى أرهقت قواها، وبدأت الأمة العربية تصل أحبالها بأحبال الثقافة الحديثة، وتأخذ منها بالقدر الذى يتفق مع شخصيتها، وانتشر التعليم، وكثر رواده، ونشطت حركة الصحافة، واهتمت بالنواحي السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الناحية الأدبية، فكان لها بذلك الفضل الكبير فى إيقاظ مشاعر الأمة.

وقد تشابكت هذه العوامل جميعها فى توجيه الأمة العربية الوجهة السليمة فى تفكيرها ومسيرتها "فبدأت تنظر فى حاضرها وغابرها، وترسم الطريق لمستقبلها، تثبت الدعائم لحياتها الجديدة لا جئة إلى العلم والأدب، وإلى ما لمحت فى العالم المتحضر من وسائل النهوض فاتخذت منها هادياً، وكان للشعر نصيب من عوامل النهوض فى هذه الفترة، وظهر ذلك فى ألفاظه، وأساليبه، وأعراضه، ومعانيه"<sup>(١)</sup>.

هذا، وقد حفلت هذه المرحلة بمجموعة رائعة من الشعراء الأزهريين، الذين استنارت بهم الحياة، وقد قاموا بدور بارز وفعال فى النهضة الأدبية الحديثة، فقد انصهروا فى بوتقة الحياة، واندمجوا مع أحداثها اندماجاً كاملاً، وكان لهم تأثيرهم فى كل مكان ومجال.

وقد استطاع هؤلاء الشعراء أن يرتقوا بأشعارهم، ويطوروا فيها تبعاً لتطور الحياة، فلم يعد الشعر عندهم بكاءً على الأطلال والدمن، ولا تشوقاً إلى استنشاق

١ . صفحات من الأدب المصرى ، د. عبد الحميد حسن/ ص ١٦٩ ، ط دار الفكر العربى الأولى .

نسليم نجد أو غيرها من البقاع القديمة ، وإنما أصبح سلاحاً قوياً ، وأداة فعالة تقتحم غمار الحياة بكل ما فيها من أحداث .

ومن الشعراء البارزين الذين ظهرُوا في هذه المرحلة : عبد الجواد رمضان ، وأحمد الزين ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمد الأسمر ، وحسن القاياتي ، ومحمد الخضر حسين ، وأحمد شفيح السيد ، ومحمود أبو الوفا ، والصاوي شعلان ، وأحمد حسن الباقوري ، وإبراهيم بديوي ، وإبراهيم أبو الخشب ، وحسن جاد ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، ومحمد مصطفى الغمري ، وعبد العليم عيسى ، ومحمد رجب البيومي<sup>(١)</sup> وغيرهم كثيرون .

وسوف نقتصر - في دراستنا - على شعر مجموعة من هؤلاء الشعراء ، بحيث تؤدي الغرض ، وتوفى بالمراد ، وهذا ما سوف يظهر من خلال دراستنا للقضايا التي عالجها شعرهم في تلك المرحلة .

### ● أبرز محاور شعر (المناسبات الدينية في هذه المرحلة) :

ازدحمت هذه المرحلة بالكثير من الشعراء الأزهريين ، وقد عاصر هؤلاء الشعراء الأحداث السياسية ، والتغيرات الفكرية والاجتماعية التي وقعت في تلك الفترة الحاسمة ، وقد عايشوا كل ذلك وعبروا عنه في أشعارهم تعبيراً صادقاً ، بحيث نستطيع أن نقول إنهم استطاعوا بحق أن يمثلوا ظروف حياتهم تمثيلاً صادقاً ، فقد ظهرت لهؤلاء الشعراء ألوان عالية من الإبداع الشعري في مختلف المناسبات الدينية المنتشرة على مدار العام ، والتي كان الشعراء يقدمون فيها للشعوب

١ . سوف نترجم لهؤلاء الشعراء عند الحديث عن محاور شعرهم .

الإسلامية دواءً ناجحاً لإيقاظ الشعور الدينى لديهم ، وقد كان ذلك أشد شيء على المستعمرين ؛ ذلك لأن الدين الإسلامى دين يدعو إلى العزة والكرامة ، ويأبى على المسلم أن يخضع لسواه ، أو أن يذل نفسه ، كما أن فى يقظة الشعور الدينى استرجاع للماضى المجيد لهذه الأمة ، وتذكير لما كانت عليه من عظمة وعلم وقوة ، وتحسر على ما آلت إليه من استعباد وخزى ، لأجل ذلك ترى هؤلاء المستعمرين كانوا يحاولون دائماً إضعاف هذه المشاعر لدى شباب البلاد التى يحتلونها ؛ لأنهم يعلمون أن هذا الشعور لو اكتمل ، وقويت شوكته ، فسوف يهب أبناؤه هبة قوية فتية تطردهم من بلادهم ، وتستعيد مجدهم السالف .

وقد فطن المستعمرون لهذه الناحية ، فأغرونا أول الأمر بالحضارة الأوبية ، وأكثروا من مفسدها فيما بيننا حتى تخف وطأة الدين والأخلاق على نفوسنا ، ونستمرئ الملاهى والمعابث ، وننسى الماضى الرائع ، والجهاد الشاق ، والصراع الطويل المرالذى بيننا وبينهم<sup>(١)</sup> .

هذا ، وقد استطاع شعراء الأزهر فى هذه المرحلة ، أن يتخذوا من شعرهم سلاحاً قوياً ضد الاستعمار ودعاوى الإلحاد ، فما تكاد تحين مناسبة دينية حتى يتبارى الشعراء الأزهريون لتقديم القصائد الرائعة التى تكشف عن مكر الاستعمار ومكائده وسوء نيته واستهتاره بمصالح الشعوب .

ومن خلال الكم الهائل الذى قرأناه من القصائد الدينية لشعراء هذه المرحلة ، نستطيع أن نقول : إن هذا الشعر قد دار فى عدة محاور أساسية ، وعبر عن مجموعة

١ . راجع : أشهر شعراء الأزهر فى النصف الأول من القرن العشرين ، د. السيد غزالة/ ص ٣٨٤ .

من الأفكار المتقاربة ، والتي كانت فى جوهرها استجابة لما تموج به الحياة من أحداث وانقلابات فى شتى المجالات .

واليك أبرز هذه المحاور مرتبة حسب الكثرة :  
١ . استحضار شخصية الرسول ﷺ :

كانت شخصية الرسول ﷺ فى هذه المرحلة مصدر إلهام للشعراء جميعاً ، فقد تسابقوا إلى مدحه والثناء عليه ، والكشف عن العديد من صفاته العالية ، وأخلاقه الكريمة ، وملامح العظمة فى حياته ﷺ .

كذلك تناول الشعراء رسالته السمحة ، مبرزين مزاياها فى قوتها وصفائها ، والدعوة إلى اتباع تعاليمها التى تعتبر أقوم تعاليم ، ثم الدفاع عن الإسلام ، ودحض مفتريات خصومه المعاصرين ، ثم الدعوة إلى القوة واليقظة والوحدة ، والاستمسك بمكارم الأخلاق ، ثم مقاومة الإنحلال ، والإلحاد ، ومظاهر الفساد المختلفة .

إلى غير ذلك مما سنكشف عنه - إن شاء الله - فى الشطور القادمة .

ولنبداً بحديث شعراء الأزهر عن الرسول ﷺ :

حرص الشعراء على الاحتفاء بشخصية الرسول ﷺ عند نظمهم فى مختلف المناسبات الدينية ، كمولد الرسول ﷺ ، أو ذكرى هجرته الشريفة ... أو غير ذلك ، محاولين من خلال ذلك أن يقوموا بإرساء قيم الشريعة الإسلامية ومبادئها التى حاول المستعمرون أن يلحقوا عليها بأكوام من التراب .

وقد كانت مناسبة المولد النبوى ، من الذكريات الإسلامية الخالدة التى هزت مشاعر المسلمين ، ولقيت من الاحتفاء والاهتمام ما لم تلقه مناسبة أخرى .

ويعد الشاعر محمد الخضر حسين<sup>(١)</sup> من أبرز شعراء الأزهر في النصف الأول من القرن العشرين ، وقد أسهم في هذا المجال بقصائد متنوعة ، من ذلك قصيدته التي نظمها في مناسبة المولد الشريف عام ١٣٤٨ هـ والتي يقول فيها متحدثاً عن الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup> .

حَيَّ ذَاكَ الْبَدْرَ بِالزَّهْرِ النُّظِيمِ      وَاَمَلَا الْجَفْنَ بِمَرَاهِ الْوَسِيمِ<sup>(٣)</sup>  
 إِنَّهُ يَحْكِي مُخَيَّا الْمَصْطَفَى      إِذْ بَدَا بَيْنَ الْمَصَلَى وَالْحَطِيمِ  
 إِنْ تَكُنْ يَا بَدْرٌ تَزْهَوُ بَسْنًا      يَرِشِدُ السَّارَى فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ  
 فَسَنَا أَحْمَدَ يَهْدِي أَمْمًا      وَيُرِيهَا سَنَنْ الْعَزِّ الْمَقِيمِ

والشاعر - هنا - يثنى ثناءً حسناً على الرسول ﷺ ، الذي حمل مشاعل النور والهداية إلى الناس عامة ، حتى أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الحق والإيمان ، وهذا فضل كبير من الله على البشرية ينبغي أن يقابل بالشكر والعرفان .

ويحاول أحمد شفيح السيد<sup>(٤)</sup> أن يلفت النظر إلى وضع الحياة العربية قبل الإسلام ، وما كان يعتريها من مثالب ، حتى يشعر الناس بقيمة الرسول ﷺ كرسول

١ . هو محمد الخضر بن حسين بن علي بن عمر الحسني التونسي ، ولد في "نفطة" من بلاد تونس في عام ١٨٧٣ م ، وبها حفظ القرآن الكريم ، ثم تلقى العلم بجامعة الزيتونة حتى تخرج فيه ، رحل إلى مصر عام ١٣٤٩ هـ ، وتجنس بالجنسية المصرية ، وعمل مصححاً بدار الكتب ، ثم نال العالمية الأزهرية ، وظل يترقى في مناصبه حتى عين شيخاً للجامع الأزهر في أواخر عام ١٣٧٣ هـ ، وكان عضواً بجمع اللغة العربية . وهو يعد من فطاحل شعراء الأزهر في النصف الأول من القرن العشرين ، وله ديوان شعر بعنوان : خواطر الحياة ، طبع لأول مرة عام ١٩٤٦ م ، وتوفي عام ١٩٥٨ م .

٢ . انظر : ديوان "خواطر الحياة" محمد الخضر حسين ، ط٢ ، ١٣٧٣ هـ / ١٥٢ ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

٣ . الأبيات من بحر الرمل التام .

٤ . ولد الشاعر "أحمد شفيح السيد حسين الشافعي" - رحمه الله - بالإبراهيمية من أعمال محافظة الشرقية ، في الثامن عشر من شهر أبريل عام ١٩٠٣ م ، التحق بالأزهر الشريف طالباً فمكث فيه عشر سنوات ، درس خلالها علوم اللغة : من أدب ، ونحو ، وصرف ، وبلاغة ، وعروض ، ودرس علوم الشريعة ، والأصول كذلك ، ثم نال شهادة العالمية عام ١٩٢٦ م ، وله ديوان شعر مخطوط ، نشرت بعض قصائده في مجلة الأزهر ، وله اهتمام خاص بالمناسبات الدينية ، توفي عام ١٩٦١ م .



فالرسول ﷺ بيديه تغيرت ملامح الحياة ، وأعيدت صياغتها من جديد صياغة تقوم على مبادئ الرحمة ، والعدل ، والإنصاف ، لذا تعلقت به أفئدة الشعراء ، وراحوا يفتشون في روضه عن شمائله ، وملامح العظمة لإبرازها للناس ، رغبة في الاقتداء به ، والسير على هداه ...

والشاعر "محمد الأسمر"<sup>(١)</sup> يعدد لنا بعض الشمائل المحمدية ، كاشفاً عن سر

العظمة في حياته ﷺ فيقول من قصيدة له ألقاها في مناسبة مولد الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup>:

إن الرسولَ محمداً صبِحُ َ بدا	من راح يعثر في سناء فلا لعا <sup>(٣)</sup>
جاءت له الدنيا فأعرضَ	يبغى من الأخرى المكانَ
زاهراً رفعا	الأرفعاً
ما جَرَّ أثوابَ الحريرِ ولا	بالتاج من فوق الجبينِ مُرصّعا
مشى	
مَنْ ألبس الدنيا السعادة حُلَّةً	فضفاضةً لبس القميصَ مرقعاً !
وهو الذي لو شاء نالت كَفَّه	كلَّ الذي فوق البسيطة أجمعا
لم يبيغها ملكا عضوضا ، بل	الله لا لسواه أفضل من دعا
دعا	
مسكُ به اختتم المهيمن رسلَه	وأبان أمرَ الدين والدنيا معا

- ١ . ولد الشاعر محمد الأسمر يوم الثلاثاء ، السادس من ديسمبر عام ١٩٠٠م تحت سماء دمياط ، ومنها استمد دمائه الخلق ، وطيبة النفس ، وخفة الروح ، ووسامة الوجه وبشاشته ، تعلم في الأزهر الشريف حتى تخرج فيه سنة ١٩٣٠م وعين مشرفاً على مكتبة الأزهر مما أتاح له فرصة الاطلاع والقراءة ، نظم الشعر دون تكلف أو مشقة ، وله شغف كبير بشعر المناسبات الدينية وأحداث السيرة النبوية ، وله ديوان شعري جمع فيه ما قاله من الشعر حتى عام ١٩٥٠م ، ثم صدر له ديوان : بين الأعاصير ، وهو يضم ما كتبه الشاعر بعد عام ١٩٥٠م ، وشعره جميل وجذاب ، توفي في السابع من ديسمبر عام ١٩٥٦م .
- ٢ . انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر/ ص ٨ ، ٩ ، مطبعة شركة فن الطباعة بمصر ، نشر دار إحياء الكتب العربية بمصر ، والأبيات من الكامل التام .
- ٣ . لا تعأ له ، أى : لا أقاله الله من عثرته .

فالأسمر في أبياته هذه يشيد بعظمة الرسول ﷺ ، وزهده ، ترفعه عن حطام الدنيا ، رغبة فيما عند الله ، وقد كان ﷺ متواضعاً في كل شيء : في ملبسه ، وى مأكله ، وفي مشربه ، وفي مشيه ، وفي سلوكه في الحياة ، وهو الذي لو أراد الغنى لفتح الله له خزائن الخير الذي لا ينفد ، وكأن الشاعر يريد أن يقول لكل من تعلق بأهداب الدنيا ، وتطاحن عليها ، وشغل نفسه بها : دع هذا فإنه ضلال ، وارجع إلى سيرة نبيك ﷺ لتتزود منها بقيم الخير والحق ، ولتأخذ درساً في التعالي على ملذات الحياة وبها رجاها الفانية .

وحين تمتلئ نفس الشاعر إبراهيم بديوي<sup>(١)</sup> بمعاني العظمة التي تنطوى عليها شخصية الرسول ﷺ ، نراه يغرد على قيثارته في مناسبة هجرته الشريفة ، معدداً بعضاً من أفضاله ، يقول :

مولاي : أسعدت الحياة ولم  
يك  
وأقمت للإسلام صرحاً عاليًا  
وتركت للدنيا تراثاً غاليًا  
لناس مثلك يا محمد مسعدا  
مُلئت جوانبه العزيزة سوّدا  
يفنى الزمان وما يزال مخلدا<sup>(٢)</sup>

١ . هو الشاعر إبراهيم على أحمد بديوي ، ولد بحوش عيسى ، أحد مراكز محافظة البحيرة ، في الثاني والعشرين من أبريل عام ١٩٠٣م ، درس في الأزهر معهداً وجامعة حتى تخرج في كلية اللغة العربية عام ١٩٣٥م ، وعين مدرساً بمعهد طنطا الديني في السابع عشر من أكتوبر عام ١٩٣٧م ، وظل يتقلب في الوظائف المختلفة حتى عين شيخاً لمعهد دمنهور الديني ، وأحيل إلى المعاش عام ١٩٦٨م ، ثم اختير مستشاراً دينياً لمحافظة البحيرة . وله ديوان شعري من جزئين ، صدر الجزء الأول منه عام ١٩٥٠م ، وصدر الثاني عام ١٩٥٤م عن المطبعة اليوسفية بطنطا بطنطا ، وفيه كثير من شعر المناسبات الدينية ، وتوفي عام ١٩٨٣م . (راجع : أشهر شعراء الأزهر ، د. غزالة ، ص ١٧٠ . وراجع : الشكل والمضمون في شعر الشيخ إبراهيم بديوي ، د. محمد داود ، ص ١٣ وما بعدها ، مطبعة الأمانة ١٩٩١م) .

٢ . انظر : البديويات ، الجزء الأول/ ص ٢٢ ، المطبعة اليوسفية بطنطا ١٩٥٤م ، والأبيات من الكامل التام .

إن الرسول ﷺ هو منبع السعادة فى الحياة لكل البشر، وهو الذى استطاع أن يبني للإسلام صرحاً عالياً محاطاً بالعزة والقوة والسيادة، وترك لنا دستورين عظيمين خالدين قادرين على إقامة مجتمع مسلم خال من العلل والأمراض، وهما: القرآن الكريم، والسنة النبوية.

ولم يكن الرسول ﷺ يدعو الناس دعوة كلامية فقط، وإنما كان يطبق دعوته على نفسه تطبيقاً عملياً، بحيث تتمثل فى شخصه كل المبادئ الإسلامية السمحة التى جاء بها الإسلام.

"والصاوى على شعلان" يلتقط لنا بعدسته هذه اللقطة المحمدية التى تعلن فى صراحة عن رحمته ﷺ وتواضعه حين يقول<sup>(١)</sup>:

يُجَفِّفُ دَمْعَةَ الشَّاكِي وَيَجْبُرُ قَلْبَهُ الْمَكْسُورُ  
وَمِنَ آيَاتِ رَحْمَتِهِ يُوَاسِي الطِّفْلَ فِي عَصْفُورٍ

\* \* \*

يَرِقُّ إِلَى الْبَعِيرِ إِذَا شَكَ مِنْ قَسْوَةِ الْإِنْسَانِ  
يُمِيلُ إِنَاءَهُ بِالْمَاءِ حَتَّى يَشْرِبَ الْحَيَوَانُ

إنها آيات بينات تشهد للرسول ﷺ بالعظمة، وتضعه فى مكانة عالية رفيعة، فقد كان الرفق ديدنه ﷺ ودأبه، يلتزم به ويوصى به أمته، ويحذرهم من تجاوزه، مبيناً لهم أن خير الدين أيسره.

١ . انظر : الصاوى على شعلان شاعرا لعلى عامر العربى/ ص ٧٢ رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٨م، والأبيات من الوافر المجزوء .

ولعل هذا هو ما كفل لدعوته ﷺ الذبوع والشيوخ والانتشار، وجعل الناس يقبلون عليها ويؤمنون بمبادئها .

ويعن "الصاوى شعلان" فى ذكر طائفة أخرى ، من صفات الرسول ﷺ وشماؤه التى تشهد بعظمته وعلو مكانته عند مولاه ، فىقول (١) :

واضحة	فى القرآن	فى سورة الحجر لا تخفى على
الله يُقسم بالهادى ويُلبسه	ثوبَ الجلال تعالى مُنزلُ القسم	فى خلقه بشرًا ، فى طهره ملكًا
هذا ، ومن فوق هذا كله عظماً	رسولُ خالقهِ للخلق كلِّهم	

وليس هناك ما هو أمعن فى الشرف والعظمة وجلالة القدر من أن يقسم الله بنبيه ﷺ فى القرآن الكريم ، ويثنى على أخلاقه التى بلغت المقام العالى الذى لا يطاول .  
ويضرب الشاعر إبراهيم بديوى على نفس هذا الوتر، ولكنه يحاول الإطناب والتفصيل ، رغبة منه فى الوصول إلى حقيقة النفس المحمدية والإحاطة بها ، وإعطائها حقها من المدح والثناء ، فيغتنم مناسبة المولد النبوى ليترجم لنا عن تلك المعانى فىقول (٢) :

الله أكبر يا محمد ، أنت أجـ	فإن الهدى ، وفؤاده ، ومشاعره
والعدل أنت رسوله ، بل أنت	رُفاه ، ومنك شمسُه وزواهرُه
_____	
والمجد أنت فمناك أول بدئه	وإليك يرجع يا محمدُ آخره
وإذا تَضَوَّع فى الورى حسب	ب فمناك وحدك طيبه ومجامره (٣)
وط	

١ . انظر : مجلة منبر الإسلام ، السنة (٣٥) ، العدد (١١) / ص ١٣٠ ، والأبيات من البسيط التام .  
٢ . انظر : البيدييات ، الجزء الثانى / ص ١٠ ، والأبيات من الكامل التام .  
٣ . تضوع : فاح أريجه . ومجامره : جمع مجمر ، وهو ما يحرق فيه الطيب .

فالرسول ﷺ هو النور الإلهي الساطع ، الذي أرسله الله إلى الدنيا لينشر فيها مبادئ العدل والرحمة والمساواة ، وينصف الضعفاء من عسف الأقوياء وظلمهم ، لذا فدعوته أساس كل معنى جميل في الحياة .

ويتحدث عن بيانه ﷺ فيقول <sup>(١)</sup> :

أما البيان : فأنت ناظم عقده  
وليك من جوامعه ومن آياته  
يكفيك أن الجذع حنئنه  
وكفاك أنك لم تقل إلا هزر  
واليك ينسبُ ثره وجواهره  
ما أعوزت أشباهه ونظائره  
لما استبان إليه أنك هاجره  
ت الدهر ، واهتزت إليك منابره

لقد كان ﷺ أفصح العرب لساناً ، وأقواهم حجة ؛ فقد أعطاه الله جوامع الكلم، فكلامه هو الكلام الذي قل لفظه ، وكثر معناه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وشيد بالتأييد ، لذا كان يقول : أنا أفصح العرب لساناً ولا فخر .

ويتحدث الشاعر عن شيء من جوده ﷺ وأخلاقه العالية ، وشجاعته النادرة ، فيقول مفصلاً عن ذلك <sup>(٢)</sup> :

أما الندى : فنداك يستبق الريا  
مالا ذ مسكين بجودك مرة  
أما عن الخلق الكريم : فأنت من  
يكفيك فيه شهادة القرآن أن (م)  
أما الشجاعة : فهي طبعك  
خالط  
ح ، وتعجز السحب الثقال  
مواطره  
إلا وقد غمرته منك غوامره  
بستانه أعطاره وأزاهره  
ك صاحب الخلق الكريم وناشره  
دمك الزكي ، فحيث سار تساييره

١ . البديويات ، الجزء الثاني/ ١٠ ، ١١ .

٢ . انظر : البديويات ، الجزء الثاني/ ص ١١ ، ١٣ .





وهنا يصور الصاوى شعلان هذا الموقف ، مبرزاً ما كان عليه الرسول من أمن

وثقة بالله ! يقول من قصيدة له فى مناسبة الهجرة الشريفة <sup>(١)</sup> :

حَشِدُوا عَلَى بَابِ النَّبِيِّ وَأَنْفَذُوا	مَا فِى كِنَانَتِهِمْ مِنَ الْفَتِيَانِ
وَاللَّيْلُ زَادَ سَوَادَهُ بِقُلُوبِهِمْ	وَجَهُ الدُّجَى وَقُلُوبِهِمْ سَيَّانِ
غَرْبَانُ سَوْءٍ حَوْلَ رَوْضِ	رَبَّاهِ مَا لِلرَّوْضِ وَالْغَرْبَانِ
أَحْدَقْتُ	
وَعَلَى فِى بُرْدِ النَّبِيِّ مَوْسَدٌ	اللَّهُ أَكْبَرُ يَا عَلِيَّ الشَّانِ
هَذَا النَّبِيُّ وَذَا أَبُو بَكْرٍ مَعَا	قَمْرَانِ أَوْ مَلَكَانِ أَوْ عَلْمَانِ
لَمَّا رَأَى الصَّدِيقُ بَيْضَ أَسْنَةٍ	مِنْ كُلِّ هِنْدِيٍّ وَكُلِّ يَمَانِيٍّ
خَافَ الذَّنَابَ عَلَى رِحَابِ مُحَمَّدٍ	هِيَهَاتَ لَيْسَ لَهُمْ إِلَيْهِ يَدَانِ
نَادَاهُ : لَا تَحْزَنْ فَإِنَّا هَاهُنَا	مَعَنَا الْمَهِيْمُنُ بَارِئِ الْأَكْوَانِ

لقد كان بمقدور الله أن يخفى رسوله عن العيون فى مكان أمين بحيث لا يصل إليه العدو ، ولكنه أبقاه فى بيته ، وعرف الكفار بمكانه ، ولم يشأ أن يخرج من البيت قبل وصول الكفار إليه ؛ حتى تكتمل أركان المؤامرة التى تأمروا عليها ، ثم كان الإعجاز الإلهى هو التحدى الحقيقى للكفار ، وهو أن يكون الرسول موجوداً بينهم ... لكنهم يعجزون عن قتله ، ويخرج من بينهم سالماً ، محروساً بعناية الله .

وإذا كان المسلمون فى هذه الفترة <sup>(٢)</sup> يواجهون من أعدائهم نفس هذا الموقف المتأمر ، فإن على أمتنا أن تأخذ من الهجرة ذلك الدرس المفيد : وهو أننا أحياناً نكون أحوج إلى تغيير النفس من تغيير العالم كله ، فلنتجه إلى النفس تغييرها ؛ ليغير الله تعالى ما بنا ، فمن النفس تبدأ الخطوة الأولى فى اتجاه الإصلاح والتقويم .

١ . انظر : ديوان وحى الإيمان / ١٨ ، والأبيات من بحر الكامل التام .  
٢ . فترة النصف الأول من القرن العشرين .



كـمـا

سار الطيبة يحدو اليمن ركبهما  
بالبشر والسعد والترحاب قابله  
فحل فيها حلول الظافر الغالى  
أبناء يثرب من شيب وأطفال

رحلة شاقة وقاسية عبر الصحراء ، والعدو يطارد لينال مالا ، مهاجران : الأول مهاجر من أجل الدين ، والثانى : مهاجر من أجل الدنيا ، كبا الثانى ، ونجا الأول ، ووصل منتصراً آمناً ، وقابله أهل المدينة ، فكان لهم غيثاً أحيا قلوبهم ، ونوراً أضاء نفوسهم ، وعقداً جمعهم بعد فرقة وشتات .

يقول :

قد كان غيثاً يحيى قلوبهم  
وكان نورا به أضاءت نفوسهم  
وكان عقدا لأهواء مفرقة  
تجمعت حول زمر الحق أنفسهم  
فأخصبت بعد إجداب وإمحال  
فأشرقت بعد إظلام وإغفال  
فألفت بعد تشتيت وإرسال  
ولم تكن قبله تبقى على حال

ويبين الشاعر عبد الجواد رمضان <sup>(١)</sup> أن الرسول ﷺ فى سبيل جمع هذه القلوب والأرواح حول هذا الدين ، قد جاهد جهاداً كبيراً هو وصحابته الكرام من أجل بناء دولة الإسلام بناءً سليماً قائماً على مبادئ الرحمة والعدل والإنصاف وحماية الضعفاء ، فيقول من قصيدة له فى مناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف <sup>(٢)</sup> :

هذا البشير هدى الرعاء بدينه فتبوءوا فى المجد أشرف موضع

١ . الشاعر الشيخ عبد الجواد رمضان ، ولد فى بلدة (شدموه) من أعمال الفيوم ، فى نهاية القرن التاسع عشر ، تعلم فى الأزهر معهداً وجامعة ، عين مدرسا فى الأوقاف الملكية ، ومدرسا فى معهد القاهرة ، ثم اختير أستاذا فى كلية اللغة العربية بالقاهرة ، وكان يتسم بسماحة الخلق ، وأصالة الرأى ، وعفة النفس ، وكان عزوفاً عن الزحام ولو أنه على الحياة ، له شعر كثير لم يجمع فى ديوان نشر بعضه فى مجلة الأزهر فى مختلف المناسبات ، وفى شعره يكثر الغريب ، وقد توفى فى أكتوبر عام ١٩٥٩م على الأرجح . (راجع : مجلة الأزهر ، المجلد الثانى والثلاثون/ ص ٤٥٠) .

٢ . انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثامن ١٩٣٧م/ ص ١٧٠ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

ملكوا الحياة فصرفوها أسعدا      واستخدموها فى الأعز الأنفع  
 حموا الضعيف فعز فى أوطانه      عن أن يدين لغاشم متتبع  
 وتواضعوا فى مجدهم ،      أمجاد قيصر فى الحياة وتبع  
 فتهافت      أعلى الممالك ما أقام بناته  
 وأجل مجد ما بنته فضيلة      لا ماتحصن فى البناء الأرفع

نعم ، إن أجل ملك ، وأعظم سلطان ما كان قائماً على الفضيلة والمحبة ، فما  
 بنى على الفضيلة يبقى ويخلد ، وما بنته قوة السلاح والمدافع يزول بزوالها .

وهكذا كانت شخصية الرسول ﷺ ، وملامح العظمة فى حياته الشريفة مصدر  
 إلهام للشعراء الأزهريين فى هذه المرحلة ، حيث صالوا وجالوا بأشعارهم فى مختلف  
 المناسبات الدينية العديدة ينهلون من معين المصطفى الصافى ، ويجنون من رياضه  
 وروداً فواحة يهدونها إلى الناس ، رجاء أن يوقظوا فى قلوبهم قوة الإيمان ، ويحركوا  
 مشاعرهم وعواطفهم لتلتف حول تعاليمه ﷺ وتوجيهاته الراشدة التى تكفل للناس  
 جميعاً حياة آمنة مطمئنة قوامها التمسك بالدين الإسلامى الذى جاء به الرسول ﷺ  
 وارتضاه الله لنا ديناً .

ونرجوا أن نكون قد وفقنا بهذه الإطلالة السريعة فى تقديم صورة واضحة  
 المعالم للشخصية المحمدية ، كما رأها شعراً ونا شعراء الأزهر فى النصف الأول من  
 القرن العشرين ، ونرجوا أن نوفق - كذلك - فى الكشف عن موقف هؤلاء الشعراء  
 من الرسالة الإسلامية ، ومن مبادئها العادلة ، وما دعت إليه من محبة وألفة وعدل  
 وإنصاف شمل كل الناس على اختلاف أجناسهم .

ولعل من أهم القيم التي أشار إليها شعراء الأزهر في الرسالة المحمدية : هي أنها تعمل على زرع الأمن في قلوب المسلمين ، واستئصال عوامل الشك والقلق منها ، ولا سيما أن ظروف هذه المرحلة كانت تموج بعوامل التشكيك في كل قيم الحياة ومفاهيمها ، حتى لقد وصل الأمر إلى التشكيك في قيم الإسلام السمحة ، لذا وقف شعراء الأزهر يعلنون أن رسالة الإسلام رسالة تكفل الأمن لكل من تمسك بهديها ، وسار في طريقها .

يقول الشاعر "أحمد شفيح السيد" من قصيدة له في مناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف مشيراً إلى هذا المعنى<sup>(١)</sup> :

رب قلب يمور بالشك مورا      زال بالدين ريه ومراؤه  
فاطمأنت من الصدور قلوب      طاح عنها الهوى وطار عماؤه  
يكدر القلب إذ بداخله الشك      ويبدو عند اليقين ضيائه  
وكذاك النفوس بالشك حيرى      وضياء الإيمان فيها جلاؤه

فالإيمان بالله عز وجل قوة في القلب ، تنفى عنه الشك والاضطراب ، تثبته على طريق الحق والنور ، ويغير الإيمان يعيش المرء خائفاً مضطرباً ، شاعراً بالغربة والقلق النفسى ويوضح شاعر الأزهر ، محمد الأسمر ، المبادئ والأسس العامة التي قامت عليها الرسالة المحمدية ، من قصيدة له نظمها في مناسبة مولد الرسول يقول<sup>(٢)</sup> :

وافى بها بيضاء عدل كلها      لا تالفين بها الضعيف مضيعا  
الناس كلهم سواسية بها      لا (قيصر) تلقى بها أو (تبعا)

١ . انظر : مجلة الزهر ، المجلد الثامن سنة ١٩٣٧م ، ص (هـ) والأبيات من الخفيف التام .

٢ . انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر ص ٨ ، ٩ ، والأبيات من الكامل التام .

والناس أكرمهم بها أتقاهم ولو أنه كان الفقير المدقعا  
دين المساواة الصحيحة دينه يرعاهم في الله أفضل من رعى

إن الدعوة الإسلامية لم تكن يوماً ما دعوة جنسية أو عرقية ، من أجل أن  
تسود أمة على أمة ، أو يستعلى شعب على شعب ، وإنما هي دعوة إسلامية رحيمة ،  
لا غاية لها ولا هدف إلا الإقرار لله بالوحدانية ، وإقامة الحق بين الناس ، ونشر  
مبادئ المساواة والعدل بين جميع الأمم والطبقات ، وهي بهذه الصورة حصن أمان  
للناس جميعاً على أموالهم وأعراضهم مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم .

ويتابع "الأسمر" كلامه ، فيذكر أن الرسالة الإسلامية ، دخلت على الملوك  
والقيصرة بسماحتها ومبادئها العادلة فزلزلت عروشهم ، وقوضت صروحهم ،  
وقضت على جبروتهم ، وأشعرت كل إنسان في الحياة بذاته ووجوده وكيانه ، فيقول  
في نفس القصيدة <sup>(١)</sup> :

دخلت على الجبروت وهو مقط	صلفا ، فأبصر وجهها فتفزعا
وأبى له حب البقاء وطبعه	إلا الصيالي ، فصاوت ، فتضعضا
وكذا الهداية إن قذفت بها على من لم تزعه العواصف قبلها	ركن الغواية والضلال تصدعا بعثت له بنسيمها فتزعزعا
ثلث عروش الظالمين وملكهم وجرى العباد على السجية سجدا	وبنت لعرش العدل ملكا أو سعا لله ، لا لمسخريهم رُكعا
وتراهم حول النبي فلا ترى	مُتملقا أو خائفا متخشعا

١ . ديوان الشاعر محمد الأسمر - ص ٨ ، ٩ .

فالشاعر الأسمر، يصور لنا هذا الصراع الذي دخلته الرسالة الإسلامية مع المعتقدات الفاسدة التي كانت تملأ سمع الزمان وقتها، وما إن بعثت إليها رسالة الإسلام ببعض نسمااتها حتى تزعزعت ومادت.

فرسالة الإسلام، هي الرسالة الخالدة التي استطاعت - بحق - أن تخلص الناس من عسف الظالمين وتسلطهم، وأن تعمل على تغوير آبار الظلم التي ظلت رديحاً من الزمن كاتمة على الأنفاس، كما عملت على إقامة مجتمع مسلم نظيف، الله غايته، والرسول الكريم قدوته ورأئده.

ويشير "الصاوي شعلان"، إلى القرآن الكريم باعتباره الأساس الأصيل للرسالة الإسلامية، وباعتباره كتاب المسلمين الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيقول<sup>(١)</sup>:

هذا كتاب مبين جل منزله	هديا لكل بنى الدنيا وتبينانا
نور تنزل من نور على بشر	من نوره لاح ضوء الشمس
فإنانا	فإنانا
إذا تلوت على الأجيال حجته	ألفيت كل عصور الدهر آذانا
يسرى الجديدان من أنوار	كمثل مصحف ذى النورين
حكمت	عثمانا

فالقرآن الكريم هو الكتاب المقدس الوحيد، الذي احتوى بين دفتيه منهجاً متكاملًا لديه القدرة الشاملة على إتيان النفوس من أبوابها الطبيعية، والتغلغل فيها من طريق مؤثراتها الفطرية التي لا تجد النفس السوية معها مناصاً إذا مستها

١ . ديوان وحى الإيمان - ٢ ، والأبيات من بحر البسيط التام .

إشرافات الحق والخير من التسليم إليها ، والاستجابة لها ، وبذلك تتطهر النفوس من النزوات الطائشة ، والشهوات الجامحة ، ومن الوسواس والهواجس ، ليصبح الإنسان ملكاً بروحه ، إنساناً بجسده من خلال مسيرته تحت ظلال القرآن الكريم . ويشير "شعلان" - كذلك - إلى ما ترتب على نزول القرآن الكريم من توحيد لصفوف المسلمين .

وجمع لكلمتهم فيقول (١) :

قد وَّحَدَ اللهُ فِي تَوْحِيدِهِ أُمَّمًا      بعد التفرق أدهارًا وأزمانًا  
سَرَتْ إِلَى (هِمَا لَإِيَا) الْهِنْدِ      والشامخات الرواسي من  
حَكْمُهُ      (تنيشنا)نا  
لَا يَنْشُدُ الْحَقَّ إِلَّا فِيهِ لَوْ بُعِثْنَا      عيسى بنُ مريم أو موسى بنُ  
عمراننا  
آثاره غُرُرُ آيَاتِهِ دُرَرٌ      من بحرِ جبريلَ لا من بحرِ عمانا

إن الله ﷻ قد جعل أحكام الإسلام كلها تتجه نحو الوحدة ، وشرائعه وآدابه كلها تركز على اعتبار أن الفرد جزء لا يتجزأ من كيان الأمة ، فالإسلام بأحكامه ووصاياه يدعو إلى الوحدة الكاملة الشاملة ، ويقرر أن الرسالة الإلهية واحدة ، ولو نزع التعصب المفرق من بين الناس ، لا لتقى أهل الأديان السماوية على المائدة الروحية للرسالة الإلهية .

وفي هذا العصر اعتز أهل أورا بالعصبية الجنسية ، كما كانت العرب في الجاهلية ، فسرى سم ذلك إلى كثيرين من متفرجة المسلمين ، فحاول بعضهم أن

١ . انظر : السابق ، والصفحة .

يجعل من المسلمين جنسيات وطنية ، وفى هذا مقدمات الخراب والدمار؛ لأنه لا عصبية ولا طائفية فى الإسلام .

وينصح الصاوى شعلان بالإقبال على القرآن الكريم ، وحفظه ، والعمل بما فيه ، فيقول (١) :

رتله واحفظه واسمع واعملنَّ به تفصح لسانا ، وتصلح فيه وجدانا  
إن الأولى حفظوا آياته حفظوا وخلدوا المجد تشييدا وعمرانا

فالاعتصام بكتاب الله ، الذى هو أصل الرسالة المحمدية ، هو العمدة فى الهداية ، والعدة فى مباحدة الغواية ، والوسيلة إلى الرشاد ، وطريق السداد ، وحصول المراد ، والعيش فى رحاب القرآن الكريم أعظم حياة ، لا يعرف طعمها إلا من ذاق حلاوة الإيمان ، وتشبع بلذة القرب .

وما أحوج الناس – فى هذه الفترة الزمنية – بل فى كل الفترات إلى أن يقيموا للقرآن الكريم صرحاً شامخاً فى قلوبهم وعقولهم ، حتى يضمنوا إصلاح ما فسد من حياتهم ، ويصلوا إلى شاطئ النجاة كما وصل إليه أسلافهم الأولون .

ويؤكد الشاعر – بعد ذلك – على أن القرآن الكريم ، هو الدستور الإلهى الخالد الذى تكفل الله بحفظه عبر القرون والأجيال إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، يقول (٢) :

دستور آدابٍ ، وصبح هداية وبشير إسعاد ، وكنز درارى  
ورسول إمداد ، وظل عناية وربيع أعياد ، وتاج فخر  
كل الذى يضع ابنُ آدمَ زائل كزواله ماضٍ بغير قرار

١ . انظر : السابق ، والصفحة .

٢ . انظر : ديوان "وحى الإيمان" – ص ٢٦٠ ، والأبيات من الكامل التام .

إلا كتاباً أحكمت آياته بهُدَى العليم وحكمة الجبار

إن شريعة القرآن يعجز الزمان عن الإتيان بمثلها فى إصلاح الأفراد والمجتمعات فى كل العصور والدهور، ولا أقول إنها صالحة لكل زمان ومكان فحسب، ولكن أقول: إنها شريعة الله خالق الأكوان وصانع الإنسان، فهى شريعة خالدة بخلود القرآن.

لأجل ذلك، نجد دلائل الحزن، وأمارات الآسى تعتصر قلب الشاعر "عبد الجواد رمضان" حينما يرى إعراض الناس عن الأخذ بمبادئ الشريعة الإسلامية، وتهافتهم على حضارة الغرب ومعتقداته التى أجابت رغبات النفوس ويسرت منازلها لعامة الناس، والعبث الأخلاقى الذى أدخله على بلادنا أناس لا يريدون الخير للإسلام<sup>(١)</sup>.

يقول متعجباً من هذا الوضع<sup>(٢)</sup>:

رسالتك التجهم والصدودا	بنفسى سيد الثقليين تلقى
أهذا الحق يحتمل الجودا	أهذا النور تنكره عيون
عن الأفكار حطمت القيودا	سوافر من بديع الآى غر
شريعته المسود والمسودا	وعدل مثل حد السيف عمت
وداعبت الخمائل والورودا	وأخلاق كما رقت شمال
كفلن الأمن والعيش الرغيدا	وآلاء، كما انهملت غيوث
بهرن فلسن يقبلن المزيديا	عوارف ليس يحصيهن عد
إذا عدموا الأسنة والجنودا	غدا الإسلام منها فى جنود

١ . راجع: ظلام من الغرب، الشيخ محمد الغزالي - المقدمة، طبعة دار الكتاب العربى بمصر .  
٢ . انظر: مجلة الأزهر، المجلد الثامن، ١٩٣٧م - ص ح، والأبيات من الوافر التام .

فالإسلام هو دين الوضوح والصراحة ، ورسالته رسالة تكفل الحياة الحرة الكريمة لكل طوائف البشر، لذا كان الإعراض عنه ، والتجهم له أمراً منكراً ، وفعلاص قبيحاً ، وعلامة تدل على قصور العقل البشرى عن إدراك ما فيه نفعه وصلاحه .

وهكذا استطاع شعراء الأزهر - فى هذه الفترة - أن يطوفوا بإبداعهم الشعرى فى أعماق الشخصية المحمدية ، ويكشفوا عن العديد من صفات الرسول الأعظم ، ويبينوا ملامح العظمة فى حياته ، كما استطاعوا - بجسارة - أن يترقوا أبواب الرسالة المحمدية ، ويبينوا ملامحها ومزاياها ، وكيف أنها أنقذت البشرية من حياة كلها تخبط وضلال ، وأخذت بأيديهم إلى طريق النور والهداية ، بفضل ما دعت إليه من الأحكام العادلة التى كفلت الكرامة لكل إنسان مهما كان لونه أو جنسه ، وكانوا يهدفون من وراء ذلك كله إلى تذكير المسلمين - فى تلك المرحلة - بماضيهم المجيد ، وبتث النشاط والحماس فى نفوسهم حتى لا يضعفوا أو يكفوا أمام تيارات الإلحاد الجارفة التى تنساب دفاقة عليهم حاملة إلى بلادهم ظلام الغرب وسوءاته .

## ٢. الدفاع عن الإسلام والإشادة بحضارته :

كان أخوف ما يخاف منه المستعمرون : هو قوة الشعور الدينى الإسلامى لدى جماهير المسلمين فى مصر؛ لأن الإسلام دين يدعو إلى القوة والعزة والكرامة ، وينفر المسلمين من الخضوع والاستدلال لغيرهم ، يربى فيهم حب الاتحاد والتعاون ، فإذا قوى هذا الشعور الدينى لدى المسلمين - والحال كذلك - كان ذلك شيئاً مؤرقاً لمضجع المستعمرين الحاقدين ؛ ذلك أن قوة العواطف والمشاعر الدينية تذكر

المسلمين بماضيهم المجيد ، وما كان لأبائهم وأجدادهم من قوة ومكانة عالية ، وتجعلهم يفكرون فيما آل إليه حالهم من ضعف وتخاذل ، فيعملون على التغيير واستعادة صورة الماضى ، ولن يكون ذلك إلا بمكافحة الاستعمار بشتى صورته .

ولما كان المستعمرون يعملون ألف حساب لهذا الشعور الدينى ، فقد حاولوا - جادين - أن يضعفوا من هذا الشعور ، وأن يحدوا من قوته ، فنشروا الفساد فى الأرض ، وفتحوا على العالم الإسلامى - ولا سيما مصر - منابع الإثم والرذيلة ، وأكثروا من تلك المفاصد حتى يستسيغها المسلمون ويستمرثونها ، وبذلك تفسد أخلاقهم ، ويضعف الوازع الدينى فى نفوسهم ، ويكونون ألعوبة حقيرة فى أيدى المستعمر يحركها كيفما شاء .

والحق أن هذا الأسلوب الاستعمارى دفع شباب المسلمين فى المقابل إلى التمسك بدينهم ، وتكوين الجمعيات الإسلامية العديدة التى تنشر الوعى ، وتنبه الناس إلى خطر الاستعمار ودسائسه والأعباء .

وفى هذا الوقت العصيب ، الذى يتطلب منا الاتحاد وجمع الكلمة ، نشأ من أبناء المسلمين نبت غير طيب ، إنهم مستشرقون مصريون ! ولدوا فى بلادنا ، ولكن عقولهم وقلوبهم تربت فى الغرب ، نمت أعوادهم مائلة إليه ، فهم أبداً تبع لما جاء به .. وكان هؤلاء خطر كبير على كياننا ؛ إذ إنهم مع غيرهم من المستشرقين الحقيقيين كانوا يكثرون من الثرثرة فى الصحف والمجالس ، ويختلقوا كل يوم مشكلة موهومة ليسقطوا من بناء الإسلام لبنة ، وليذهبوا بجزء من مهابته فى النفوس<sup>(١)</sup> .

١ . راجع : ظلام من الغرب ، الشيخ محمد الغزالي - ٣ .

وأمام هذه التعديلات المتكررة على مشاعر المسلمين ، نشأت كثير من الجمعيات الدينية التى تدافع عن الدين ، وتعمل على تقوية العاطفة فى نفوس المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها<sup>(١)</sup> .

منها جمعية "الهداية الإسلامية" و "الشبان المسلمين" ، و "التعاون الإسلامى" و "الإخوان" .

وقد كان لهذه الحركة الدينية من بدء نشأتها إلى اليوم أثر قوى فى الشعر العربى الحديث ، فمن قصائد تقال فى مطلع العام الهجرى ، ومن أخرى تقال فى المولد النبوى ، أو غيره من المناسبات الدينية المختلفة ، وكلها تذكر المسلمين بماضيهم ومجدهم ، وتحثهم على تغيير الواقع البغيض والنهوض بالأمة قدمًا إلى الأمام .

وكان لشعراء الأزهر النصيب الأوفر فى هذا المجال ، حيث صالوا وجالوا مغردين فى كل مناسبة كانت تعرض لهم .

فالشاعر "الصاوى شعلان" يذكر المسلمين فى مناسبة المولد النبوى الشريف ، أن طباع اليهود واحدة ، فهم لا يرعون لغيرهم إلا ولا ذمة ، ولا يوفون بعهد ، ولا يحرصون على إيمان ، بل ديدنهم الإفساد ، ونشر بذور النزاع والشقاق بين الناس ، وتشكيكهم فى عقائدهم وأحكام دينهم ، وهم فى ذلك لا يختلفون عن أسلافهم السابقين فى شيء ، بل يسيرون على خطتهم وعلى نفس منهجهم .

١ . انظر : ديوان "وحى الإيمان" - ص ٧٧ ، والأبيات من البسيط التام .





فالهجرة - بحق - كانت فيصلاً بين عهدين ، عهد مضى عاشت فيه الدعوة الإسلامية مضطهدة مهددة ، وعهد مكن الله لها فيه في الأرض ، فثلثت عروش الظلم والظالمين ، وتربعت فوق الجميع ، وعاد الرسول ﷺ بعد بضع سنين إلى وطنه الذي أخرج منه ، عاد وهو عزيز الجانب ، منيع القوة ، دون أن يستطيع أحد أن يدنو إليه بسوء ، أو ينظر إليه بمكروه .

ومن هذا المنطلق لم تكن هجرة الرسول ﷺ عيباً يقدر فيه ، أو يحط من شأن شجاعته ، كما أشاع الملاحدة والمعرضون ، وأصحاب الأقلام المأجورة ، وإنما كانت فتحاً ميبئاً للدعوة الإسلامية ، حيث اتخذ المسلمون منها قدوة في نشر دينهم في الأقطار ، فخرجوا بعد أن رست قواعد الإسلام إلى العراق ، وإلى بلاد الفرس والشام وغيرها ، مهاجرين بمبادئهم القويمة ، هاجرين أوطانهم ، متمثلين قول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا ... ﴾<sup>(١)</sup>

ولولا تلك الهجرات الأولى ، وما قصد إليه المهاجرون من رغبة صادقة في إعلاء كلمة الحق ، ونشر مبادئ الإسلام التي تشيع الحرية والعدالة والمساواة بين الناس ، وتكف أيدي أقويائهم عن ضعفائهم ، لولا تلك الهجرات ما أنتشر الإسلام ، وما كان أحد من ملوك تلك الأقطار التي سادها الإسلام أو من ساداتها على استعداد لأن يذهب إلى المدينة المنورة ليعلم تناوله عن سلطانه وجاهه إلى خليفة المسلمين ، أو يدخل في مبادئ الدين الجديد<sup>(٢)</sup> .

١ . سورة النساء : من الآية ١٠٠ .

٢ . راجع : مجلة الأزهر ، عدد المحرم سنة ١٣٨٣هـ / ٧٠ .

وكما حاول أعداء الإسلام التقليل من شأن هجرة الرسول ﷺ ، وتسميتها هروباً وخوفاً وجبناً عن مواجهة المواقف ، فقد وقفوا من معجزة الإسراء والمعراج موقف المتشكك المرتاب ، حتى أنكروها بعضهم ، وأولها البعض الآخر .

ويسخر شاعر الأزهر "الصاوي شعلان" من هؤلاء الذين لا يرون هذه الرحلة قضاءً مبرماً ، وأمرًا من الله سبحانه ، فيقول دافعاً هذه الافتراءات (١) :

إنى عجبت لمعشر لم يقدرُوا      مقدار قدرة مبدع الأشياء  
هذا هو المذيع بين ربوعكم      يا قوم كل صبيحة ومساء  
وترى استراليا فى الخضم      مصباح روما فى المقام النائي  
يضاً \_\_\_\_\_      يئها  
والبرق ، والحاكى ، وكم من      لم تكتشفها قدرة الفهماء  
حكمة \_\_\_\_\_

أفيعجز البارى تعالى حمده      عن رحلة المعراج والإسراء ؟

إن إنسان اليوم ، قد قدم العديد من الاختراعات العجيبة الباهرة ، وصنع العديد من الرحلات الفضائية المتعاقبة ، وجاب الفضاء بقوى عديدة تصنع له عن طريق العلم ما تصنع ، وتدبر له الأمر ، وتضع له المركبة ليركبها ، وتهيئ له الصاروخ ليقذف بمركبته إلى جوف الفضاء فى حساب دقيق للثوانى والساعات والأيام ، فإذا كان الإنسان المحدود القدرة يقدر على فعل ذلك ، فليس مستغرباً إطلاقاً أن يهيئ الله لنبيه محمد ﷺ رحلة الإسراء والمعراج العظيمة ، ولا يحق للإنسان أن يسأل كيف كان ذلك ؛ لأنها معجزة ، والعقل البشرى القاصر ليس فى إمكانه أن

١ . انظر : ديوان "وحى الإيمان" - ص ٣٣ . وقد قدم الشاعر - فى بيت الأخير - المعراج على الإسراء لضرورة القافية ، (والأبيات من الكامل التام) .

يفهم المعجزة ، ولا فى إمكانه أن يصنعها ؛ لأن صانع المعجزة هو خلق الأرض والسماء ، إله هذا الكون العظيم .

بقى شيء ، وهو أن المخترعات والمبتكرات الفضائية الحديثة التى وضعها الإنسان لم تفعل المستحيل ، بل عاش الإنسان معها مع الممكن ومع الإمكان ، فالزمن هو الزمن ، والمسافات هى المسافات ، فأين كل هذه التعقيدات من معجزة الإسراء والمعراج ؟

ومن هذا المنطلق ، لا يكون لتشكيك الملاحدة المبعضين للإسلام ورسول الإسلام موقع من الصحة ، لأنهم - لقصور تفكيرهم - قاسوا المسألة بعقولهم هم ، ولو تأملوا قول الله :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ... ﴾<sup>(١)</sup>

لعرفوا أن محمداً ليس هو الفاعل ، ولكن الفاعل هو الله ، والله قادر على كل شيء ، فلا بد أن نقيس الفعل بقدره الله جل جلاله ، وبذلك يظهر بطلان شكهم ، وقصور تفكيرهم ، وسوء نيتهم .

ومن القضايا الهامة ، التى أثارها الملحدون : " قضية الإسلام والسيف " ، حيث راحوا يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف ، وبالقوة والقهر والجبروت ، ويقولون : إنه لولا ذلك ما انتشر الإسلام ولا عم الآفاق ، يقولون ذلك ، وهم يعلمون أن المسلمين الأوائل هم ضحايا القهر والتعذيب ، قبل أن يقدروا على دفع الأذى عن أنفسهم من

١ . سورة الإسراء : من الآية ١ .

كفار قريش في مكة ، فالمسلمون بدءوا فرداً واحداً ليس له قوة تحميه إلا حفظ الله إياه ، وليس له جند إلا جنود الله التي تحميه ، وليس له أمل إلا وعد الله له بالنصر . والشاعر "محمد الأسمر" يبين هنا أن الرسول ﷺ ما أمر بالغزو والفتح ، إلا بعد أن اشتد أذى الكفار له ولدعوته ولأصحابه ، وإلا بعد أن نفذت كل محاولات الهداية والدعوة إلى الله على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وفى النهاية أذن الله للمسلمين بقتال المشركين دفاعاً عن أنفسهم ، وعن دينهم ، وتقوية لدعائم الحق والخير والعدل ، وإخماداً لمواقف الشرك ، يقول من قصيدة له فى ذكرى المولد النبوى<sup>(١)</sup> :

نادى إلى الحسنى فلما عرضوا واستكبروا شرع الرماح فأسمعا  
والحق أعزل لا يروع ، فإن بدا مستلثماً لاقى الطغاة فروعا<sup>(٢)</sup>  
والحق أخفى ما يكون مجردا وتراه أوضح ما يكون مدرعا  
بعض الأنام إذا رأى نور الهدى عرف الطريق ولم يضل  
المهيعة<sup>(٣)</sup>  
ومن البرية معشر لا ينثنى عن غيه حتى يخاف ويفزعا

فالرسول ﷺ قاد جيوشه تحفه عناية الله ، لا ليكره أحداً على اعتقاد دينى ، ولا ليجبره على قبول نظام اجتماعى ، وإنما قادها لدفع العدوان ، وقمع الطغيان ، قادها تحت راية إسلامية سداها ولحمتها قول الله - تعالى - :

١ . ديوان الشاعر محمد الأسمر - ٨ ، والأبيات من الكامل التام .  
٢ . مستلثماً ، أى : لابساً الأمة ، وهى الدرع .  
٣ . المهيعا ، أى : الطريق البين الواسع .

﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

مع مراعاة الحقوق والذمم وخير الإنسانية ، وحين تنشب فإنها تسير في اتجاه حكيم ، وفي دائرة مغلقة لا تتجاوز أهل الطغيان والعدوان ، وتترفق بالضعفاء والولدان ، فإذا لمحت من العدو رائحة الرغبة في الإسلام هدأت ؛ رغبة منها في تجنب إراقة الدماء ، وهذا مما تفردت به حروب المسلمين .

ويأتى شاعر الأزهر "محمد الخضر حسين" ليكشف لنا عن الحكمة من حروب المسلمين مع أعدائهم ، وهي الرغبة في التمكين لدين الله في الأرض .

يقول من قصيدة له في مناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف عام ١٣٤٨ هـ (٢) :

هو إذ يرهف حدا للذى عاث أو يأذن فى حرب  
 الخصم  
 لم يرد إلا سلا ما سائدا واعتزازا لذوى الدين القويم  
 إن تكن تعجب فاعجب ليد لبست قفاز أفك أثيم  
 كتبت تزعم من شقوتها أنه لم يك بالشخص العظيم  
 علموها أنه أعظم من سار فى الناس على هذا الأديم

فالرسول ﷺ لم يرد بحربه إلا إقرار السلام ، وإعزاز المسلمين ، الذين تشربوا كأس العذاب حتى الثمالة ، وإن تعجب فاعجب لمن غرر به ، وأشرب قلبه كره

١ . سورة البقرة : من الآية ١٩٤ .

٢ . انظر : ديوان "خواطر الحياة" - ص ١٥٣ ، والأبيات من الرمل التام .

الإسلام ، فشرع يحارب الإسلام ورسوله بقلمه الآثم ، وجهل هذا الأفك المأفون أنه ﷺ أعظم رسول ، وأفضل من مشى على هذه الأرض .

لأجل ذلك ، وجب على أبناء الشرق الإسلامي أن يتنبهوا إلى دعوات الإلحاد التي تحيط بهم من كل جانب ، وتحاول في شراسة هدم الإسلام ، والتشكيك في مبادئه وأحكامه ، تدفعهم إلى ذلك رغبة مسعورة لتشويه صورته ، وإظهاره بصورة غير لائقة ، ولكن هيهات لهم ذلك .

ويدافع شاعر الأزهر "محمد الخضر حسين" عن الإسلام ضد الملاحدة المتنادين بنبذ التشريع الإسلامي ، واللجوء إلى القوانين الوضعية التي لا تتفق مع مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف .

وقد كان بادياً على الغزو الثقافي والاجتماعي الذي رمانا به الغرب الحاقده الرغبة في إقصاء التشريع الإسلامي وإحلال القوانين الوضعية محله (١) .

يقول الشاعر من قصيدة له ألقاها في مناسبة المولد النبوي الشريف عام ١٣٤٨هـ (٢) :

يا خصيما لهدى أحمد ما      لخصيم الحق من قلب سليم  
دونك التاريخ لا تبقى مدى      في حديث إن تشأ أو في قديم  
هل رأى الناس كتابا عجبا      مثل ما يتلى من الذكر الحكيم ؟  
ويح قوم سحرت أعينهم      هذه الدنيا بمرعاها الوخيم  
غرقوا في لهوها واتخذوا      من موالة الهوى أشقى نديم  
نكروا القرآن بالذوق الذي      يؤثر الذر على الدر اليتيم

١. راجع : ظلام من الغرب ، الغزالي - ١١٨ .

٢. انظر : ديوان "خواطر الحياة" - ص ١٥٣ ، والأبيات من الرمل التام .

دعوا الإلحاد إصلاحاً وهل يعرف الإصلاح ذو ذوق سقيم  
 إن دعاة الإلحاد الذين أنكروا القرآن الكريم ، ونادوا بالإلحاد منهجاً لإصلاح  
 الحياة ، هم أنفسهم الذين غرقوا فى لهوها ، ونشروا المفاصد والموبقات بين جنبااتها ،  
 فكيف يعرف الإصلاح من فسد ذوقه ، وخربت نفسه ؟!  
 ويوجه الشاعر أنظارهم إلى وجوب قراءة التاريخ ، والنظر فيه ، ومنه  
 سيعلمون أن القرآن الكريم هو أعظم كتاب ، وأجل دستور حكم الحياة ، ولكنهم  
 لفساد أذواقهم يؤثرون الذر على الدر الثمين الغالى ، وكفى بذلك فساداً وتخلفاً .  
 وأمام هذه الاعتداءات الكثيرة على مشاعر الإسلام والمسلمين ، وجد - كذلك -  
 من شعراء الأزهر فى هذه المرحلة من يدافع عن الإسلام ، ويحارب دعوات الإلحاد  
 الهدامة ، ويذكر المسلمين بحضارتهم البائدة ، وماضيهم المجيد ، فهذا شاعر الأزهر  
 " أحمد شفيح السيد" يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى الشريف عام  
 ١٩٤٤م<sup>(١)</sup> :

أينسى بنو الإسلام مجدا مؤثلا	تضييق به الدنيا على رحبها نشرا
تباريح قوم بالفنون تطاولوا	ولم يعلموا أنا لهم مبعث الذكرى
همو قبسوا منا الحضارة غضة	وتاهوا علينا من جهالتنا كبرا
ففى كل شرق ينزلون ومغرب	معارفنا كانت لليلهمو فجرا
إذا كان للسباق فخر بسبقه	فأيد لنا فى كل عارفة فخرا

إن غفلة المسلمين اليوم عن ماضيهم ، وانشغالهم عنه ، جعلتهم مع مرور الأيام  
 ينسون مجدهم الماضى ، الذى حققه أجدادهم من خلال التزامهم بمبادئ الإسلام ،

١ . انظر القصيدة فى : أشهر شعراء الأزهر ، د. السيد غزالة - ص ٣٩١ وما بعدها ، والأبيات من الطويل .

وفى نفس الوقت دفعت أعداءهم إلى التناول والتفاخر عليهم بما يحملون من حضارة حديثة ، هى فى الأصل نبت عربى أصيل انتقل إليهم عن طريق الأندلس ، وعن طريق الحملات الصليبية التى انسابت على البلاد فيما مضى ، فالإسلام إذن هو مبعث النور والضياء لهؤلاء وإنما يرجع تخلفنا وتقهقرنا إلى نوم وكسل خيم على بلادنا قروناً طويلة بعدت خلالها الشقة بيننا وبين ديننا .

ويرجو الشاعر - بعد ذلك - من ولاة الأمر أن يراعوا دينهم حق الرعاية ، وينصروه ويوقروه ، ففى نصره نصر لهم ، وتثبيت لأقدامهم على طريق الحياة .  
يقول :

لعل ولاة الأمر يراعون دينهم      فتلوا لنا الآمال والعيش قد مرا  
ونصرتنا للدين عز ومنعة      نقر بها دنيا وتسمو بنا أخرى

وهكذا يتخذ شعراء الأزهر - فى هذه الفترة - من أنفسهم محامين أمناء - إن صح هذا التعبير - يدافعون عن الإسلام ، ويذودون عن حياضه ، ويردون كل اعتداء عليه إلى نحر قائله ، يدفعهم إلى ذلك ما يكمن فى نفوسهم من مظاهر الحب والغيرة على دينهم ، ثم إن ذلك يعد مظهرًا من مظاهر الولاء لهذا الدين ، الذى كان له الأثر الواضح فى تغيير حياة الناس ، وتوجيههم والأخذ بأيديهم من حياة الفوضى والهمجية إلى الحياة الحرة الكريمة .

٣. مقاومة الاستعمار ومفاسده :

فى النصف الأول من القرن العشرين الميلادى ، كانت مكاييد الاستعمار الأوروبى للعرب والمسلمين على أشدها ، فهذا الغزو الذى انسابت جيوشه فى بلاد الإسلام ، قد استعمل كل وسائله فى سبيل تثبيت أقدامه ، ورسم سياسة دقيقة بعيدة المدى لتفتيت الكيان الذى سقط فى يده ، وإماتة خصائص الحياة والإبء فيه ، فرمى بأوزاره كلها على البلاد ، يحاول محق عروبتهها ، وطمس تاريخها ، وتلويت ينايبعها الفكرية والعاطفية ؛ حتى تنشأ الأجيال الحديثة عليلة المزاج ، سقيمة التفكير ، بعيدة عن قيم الحق والخير .

ولم يعدم الاستعمار - وهو فى طريقة لتحقيق هذه الغاية - من أبناء مصر من يقف معه ، ويتبع هواه ، إما عن ذوبان وإعجاب ، وإما عن ضعف وخيانة ، وما الإلحاد والفساد والتخبط الذى منيت به أكثر بلاد الإسلام ، إلا نتيجة حتمية لسياسة الغزو الاستعمارى .

ويلاحظ ، أن خطة الاستعمار الآثم قد شجعت على الفوضى والفساد والتحلل ، وأجابت رغبات النفوس ، ويسرت منالها لعامة الناس ، فالزنا لا يجرمه قانون ، وكذلك الخمر ، والعامل البسيط بأجر يومية يمكنه أن يلج صالات الرقص ليخاصر النساء ، ويسمع الموسيقى والغناء ، ويسكر ويضحك دون مبالاة .

ولما كان الاستعمار دائماً ما يصطدم بتعاليم الإسلام وقوانينه ، وتقاليد الباقية بين أهله وذويه ، فقد عمل على إماته هذا الدين بين ذويه ، وذلك بإبعاد شرائعه عن الساحة ، واحتقار تعاليمه كما قلنا من قبل .

إن العلاج لكل هذه الأمراض : هو أن نقاوم الاستعمار ومفاسده بكل قوة لدينا ، وأن نرد لديننا هيبتة في النفوس ، وننقى عنه ما شأنه من فساد في عهود البلى والإضمحلال ، وبذلك نستطيع أن ننقذ الشرق من ظلمات الغرب ، وننقذ أنفسنا من مهاوى التحلل والعصيان <sup>(١)</sup> .

وقد قام شعراء الأزهر - في هذه الفترة - بتقديم العديد من التوجيهات والإشارات التي تنوه بخطر الاستعمار ، وتكشف عن مفاسده في بلاد الإسلام ، عمله على تفتيت كيان الأمة العربية حتى تصير في يده أسلاباً تتقاسمها أطماعه <sup>(٢)</sup> .

ومن الشعراء الذين أدلوا بدلوه في هذا المضمار ، الصاوي على شعلان ، الذي كشف لنا النقاب عن أساليب الاستعمار الخادعة التي يضل بها الشعوب من أجل أن يستولى على خيراتها ومواردها .

يقول في مناسبة عيد من الأعياد <sup>(٣)</sup> :

صوّر الغاصبُ عدلاً ظلمه	ما هو التفسير للعدل الجديد؟!
زاد في التحرير معنى أنه	يحكم القيد لتحرير العبيد
قال للطير إذا رمت الأمان	فاتخذ منزل الصياد وكرا
ليس في الأجواء للطير مكان	لا ، ولا تأمن في الصحراء نسرا
حين يلقي الحبّ في أشراكه	يسقط الطير يهوى ثملا
ويغيب الرشد عن إدراكه	ساعة يفقد فيها الأمل

١. راجع : ظلام من الغرب ، الشيخ محمد الغزالي - ١٢ ، ١٥ .  
٢. منبر الإسلام ، السنة ٢٩ ، العدد الثامن - ١٣٧ ، والأبيات من الرمل التام .  
٣. انظر : أشهر شعراء الأزهر ، د. السيد غزالة - ٣٩٢ ، والأبيات من الطويل .



ويكشف الشاعر "محمد الأسمر" عن مظهر آخر من مظاهر الفساد التي أشاعها الاستعمار وهو ظهور روح التفاوت الطبقي ، وظهور العصبية بوجهها الكالج الذميم ، وهي أمور لا يقرها الدين الإسلامي .

يقول في مناسبة عيد من الأعياد (١) :

أنت يا مصر مسرح للأعاجيب وأرض تسود فيها العبيد  
وإن شر الكلام وقعا على النفس إذا قيل سيد ومسود  
والذى يزرع الكروم ويسقيها له دون غيره العنقود  
هم يقولون حل فى مصر عيد ليت شعرى أماتم أم عيد ؟

إن الأمور إذا تضاربت وانقلبت ، وأصبح كريم الأصل طيب النبت ذليلاً حقيراً ، وتحول الذليل إلى كبير بيده مقاليد الأمور ، فإن ذلك يؤلم النفس ، ويلبسها أثواب القلق وعدم الرضا بالواقع .

وقد كان المستعمر يفعل ذلك ، كان ينزل الأحرار الشرفاء إلى الهاوية ، ويرفع الصعاليك والجنباء الذين ينقادون له إلى الثريا ، لهذا كانت الصدور مشحونة منه كرهاً وبغضاً ، حتى إنها لتريد أن تمحوه محوًا ، وتجتث جذوره من فوق الأرض .

هذا ، كما وقف شعراء الأزهر يدافعون عن الإسلام ضد الحملات التبشيرية التي جرها الاستعمار على البلاد ، والتي نشطت فى مصر فى الفترة ما بين عامى ١٩٢٥ - ١٩٣٥م ، فقد كان هؤلاء يظنون أنهم يستطيعون تحويل أكثر مسلمى الشرق إلى نصارى ببذل الأموال ، فيحطموا صخرة الإسلام التي عجز أسلافهم عن التأثير فيها ، فلما أخفقوا ، لجأوا إلى وسائل كثيرة تقربهم من أهدافهم ، فنشروا

١ . انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر - ص ١٠٠ ، والأبيات من الخفيف .

المشافي ، والمدارس ، ونظموا فيها وسائل التبشير... ووضعا خطة لتشكيك المسلمين في عقائدهم وتشريعاتهم<sup>(١)</sup> .

وقد وقف شعراء الأزهر ضد هذه الحملات التبشيرية ، وشنعوا بها ، وفضحوا أمرها ، يقول "الصاوي شعلان" في ذلك<sup>(٢)</sup> :

ألا أبلغ (زويمر) والعداري	كأمثال الطبا ، أبت القفارا
ترتل في كنائسها صلاة	فتبعث من فؤادك ما توارى
بأن معامل التفتيش ولت	ودك الله ذروتها اندثارا
وأن الأزهر المعمور دار	تحطم دونها أسباق دارا
سكرت بخمرة التضليل طيشا	أجبت تظننا قوما سكارى !
وأنتك ملحد ، لا دين تبغى	ولا أمنا تريد ولا قرارا
ولا وأبيك ما حركت ظفرا	ولا أحدثت للنفس ادكارا

والشاعر هنا ، يتهم بالمبشرين في شخص "زويمر" ، وهو واحد من أنشط رؤساء الفرق التبشيرية التي غزت الشرق ، ويصور سفه أحلامهم وعجزهم عن أن ينالوا من الإسلام أو المسلمين شيئاً ، فضلاً عن أن خسارة المسيحية كانت فادحة ، وهذا دليل على أن الإسلام فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

ولذلك ، نجد الصاوي شعلان ، يهيب بجموع المسلمين ، ويحاول أن يبعث اليقظة في نفوسهم ، حتى يتنبهوا إلى حيل الغرب الملحد الذي يريد الفتك بهم ،

١ . راجع : العامل الديني في الشعر المصري الحديث ، د. سعد الدين الجيزاوي - ١٩٥ .  
٢ . انظر : مجلة منبر الإسلام ، السنة ٢٩ ، العدد الثامن - ١٣٧ ، والأبيات من الوافر التام .

وتخريب نفوسهم ، ويدعوهم إلى عدم تصديق وعوده البراقه ؛ فكل ما يأتي به كذب وزور ، ونفاق وخداع .

يقول في قصيدة له ، في مناسبة عيد من الأعياد <sup>(١)</sup> :

سدد الرأى وحاذر كيده كل ما يأتي به زور ومين  
إن سقاك الماء فاترك ورده ولتمت ظمآن حرا كالحسين

\* \* \*

لا تصدق منه ما تسمعه فهو تخدير مبيد للبشر  
واحذر الكحل الذى يصنعه إنه الكحل الذى يعمى البصر

\* \* \*

لك قلب ومع القلب ضمير أم غدا قلبك للأصنام دييرا  
أنت للغاصب محكوم أسير تحت حكم الغير لن تصنع خيرا

إن الشاعر هنا ، يقاوم الاستعمار ما وسعته المقاومة ، ويحاول أن يكشف للمصريين عن سوءاته وأساليبه البراقة الخادعة ، ويوضح لهم أن دينهم يدعوهم إلى أن يكونوا أعزة أقوياء ، يأبون الظلم والضميم ، ويأنفون من الاستذلال ، لذا فالواجب عليهم تجاه ما يواجهونه من أساليب الاستعمار واستفزات المتكررة لهم ، واعتدائه على كرامتهم ، وسلبه لأرضهم ، أن يشعلوها عليه نارا حامية ، لا تبقى ولا تذر ، انتقاما لكرامتهم ، وردا لحقوقهم المهضومة ، وإعلانا بأن العزة لله ولرسوله والمؤمنين

يقول الشاعر مترجما عن هذه المعانى :

تدعى الحب لخير الأنبياء أكذب الأقوال ما لم بيد فعلا  
وإذا لم يتبع القول اقتداء لم تكن للحب أو للقرب أهلا

١ . انظر : منبر الإسلام ، السنة ٢٩ ، العدد الثامن - ١٣٧ ، والأبيات من الرمل التام .

\* \* \*

لذة الإيمان عند المؤمنين      قل أن يدركها عبد ذليل  
مسلم مستسلم للطامعين      أزرى حاد عن دين الخليل

\* \* \*

صلوات الحر بعث للشعور      فهى معراج إلى العيش الكريم  
وصلاة المرء فى غير حضور      عادة جوفاء فى رسم قديم

\* \* \*

إن للأحرار فى العيد السعيد      مظهر العزة فى دنيا ودين  
ولدى الأسرى وفى عيش العبيد      يصبح العيد هجوم المؤمنين

فالإسلام ضد كل وسائل الاستذلال والاسترقاق ، وضد كل ما يخدش كرامة المؤمن ، أو يحط من شأنه ؛ لأن الإيمان قوة خارقة إذا تمكنت فى قلب المؤمن ، استطاع من خلالها أن يصنع المعجزات ، ويحطم القيود والسدود .  
ويدعو الشاعر "أحمد شفيح السيد" جموع المسلمين إلى محاربة الاستعمار ومقاومته ، والوقوف فى وجهه عن طريق "إعلان الجهاد" ويشير عليهم أن ذلك ينبغى أن يكون مسبوقاً بإصلاح فساد القلوب ، والتمسك بشرائع الدين الإسلامى الحنيف .

يقول مترجماً عن هذه التطلعات المشرقة (١) :

يا بنى الدين والحياة جهاد      دينكم بالجهاد تم علاؤه  
صيحة الحق فى القلوب تدوى      فالإم الضلال يطغى بلاؤه  
لن تروا كانهوض بالخلق      ن عمادا يعز منكم بناؤه  
والدي

١. انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثامن سنة ١٩٣٧م - ص (و) ، والأبيات من الخفيف التام .

إن فى أنفـس الأنام فسادا      عبثت فى صميمها أدواؤه  
فلتكونوا من الفساد أساة      إن ذاك المريض طال شقاؤه

فالإسلام يبني الأمة الإسلامية على منهج قويم ، ونظام دقيق لتقوم على أمانة دين الله فى الأرض ، ومنهجه فى الحياة ، مضافاً إلى ذلك كله : توحيد الكلمة ، واجتماع الشمل ، ووحدة الهدف ، والتقاؤهم تحت راية الكتاب والسنة ، وإذا تحققت للمسلمين هذه الغاية النبيلة ، سادوا وعزوا ، واستطاعوا أن يواجهوا الاستعمار ومفاسده فى كل الأزمان بقوة وجسارة ، واستطاعوا كذلك أن يقتلعوا جذور الغواية والفساد من مجتمعاتهم ، وبذلك يتحقق لهم الأمن والسلام . تلك هى بعض أشعار الأزهريين التى نظموها فى محاربة الاستعمار ومفاسده من خلال شعر المناسبات الدينية فى فترة ما قبل الثورة المباركة .

وقد رأينا كيف تجاوب شعراء الأزهر مع الأحداث السياسية التى مرت بها البلاد وسجلوا فى شعرهم صوراً حية تصف لنا تطور الظروف العامة ، وتبرز آمال الشعب فى أن يحيا حياة كريمة ، ويتخلص من أدران الاحتلال وبشاعته حتى قيض الله لهذه الأمة رجالاً من أبنائها الكرام ، وحقق على أيديهم تلك الآمال العراض فى ذلك اليوم المجيد الذى انبثق ضوءه قوياً وهاجاً فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م .

٤. الدعوة إلى الوحدة ونبذ الخلاف :

من الأمور الهامة التى امتازت بها الشريعة الإسلامية : أنها تدعو إلى الجماعة والوحدة ، وتحذر من الختلاف والتنافر بين أبناء الأمة ، فالجماعة سمة

عظيمة من سمات الإسلام ، بها تتألف القلوب ، ويتحد الصف ، ويجتمع الشمل ، ويقرب البعيد ، ويتم القضاء على بواعث الشقاق والفرقة ، ومن هنا : يمكن أن يكون المسلمون قوة مرهوبة الجانب ، مسموعة الكلمة ، يحافظون بها على كيان الأمة الإسلامية من كل التيارات المعادية التي تحيط بهم من كل جانب ، وذلك عملاً بما وصاهم الله به ، حيث يقول - تعالى - :

﴿...وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾<sup>(١)</sup>

ولقد سجل التاريخ الإسلامي أن المسلمين الأولين حين آمنوا بسنة الوحدة والجماعة صاروا قوة رهبتهم الأمم من حولهم ، وأخضعوا الرقاب الظالمة الطائشة ، وسادوا العالم فى رقعة كبيرة تمتد من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً .

وقد صور شعراء الأزهر - فى هذه المرحلة - تطلعات النفوس والقلوب إلى الوحدة ، وأمنية الشعب المصرى فى أن يتخلص من كل ما يعرقل مسيرته إلى الوحدة الإسلامية ، مشيدين بالوحدة الإسلامية الكبيرة التى قامت أيام الرسول ﷺ ، والتى كانت سبباً لعزة المسلمين والرهبة منهم ؛ بعناً للحماس فى النفوس لاستعادة هذه الفترة المشرقة .

يقول الشاعر "إبراهيم بديوى" مترجماً عن هذه المعانى ، من قصيدة له قالها فى مناسبة الهجرة الشريفة مخاطباً الرسول ﷺ<sup>(٢)</sup> :

ألقوا إليك أمورهم فحكمتهم      حكم النبوة عادلاً ومسدداً  
أخيت بينهمو وإن بعدت بهم      أنسابهم فغدا الإخاء مؤيدا

١ . سورة آل عمران : من الآية ١٠٣ .

٢ . انظر : البيديويات ، الجزء الأول - ص ٢٠ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

والدين جمع ما تفرق منهمو  
والدين إن جمع النفوس على  
الهدى

والدين قرب بينهم ما استبعدا<sup>(١)</sup>  
ظلت موحدة قلن تتبددا

إن الطابع الذي كان يغلب على المسلمين الأوائل ، والشعور العام عندهم : هو محبة بعضهم بعضًا ، بل لقد زاد هذا الحب ، ونما في القلوب حتى وصل إلى درجة الإيثار ، وبذلك حقق الإسلام غايته ، وتمكن من بناء دعائم متساوية قائمة على أسس تربط بين القلوب برباط المساواة ، لا فرق بين أبيض وأسود إلا بالتقوى .  
وأول شيء يتحقق به الوحدة "هو عقيدة التوحيد" ، وذلك يكون بالتجرد الكامل لله - تعالى - في كل شيء .

وإن الحج إلى بيت الله الحرام لأداء شعائر الله ، لأكبر مظهر من مظاهر الوحدة في حياة المسلمين ، ودليل قاطع على أن هذه الأمة أمة مؤمنة تبغى تحقيق ما أراد الله لها من : التآلف ، والمحبة ، والقوة ، لتسير بهذا على طريق الله السوي .  
يقول شاعر الأزهر ، الصاوي شعلان ، مصورًا بعض مشاهد الوحدة في حياة المسلمين ، من قصيدة له ، قالها في مناسبة الحج<sup>(٢)</sup> :

الله أكبر ما اطمأن الركب في  
الله أكبر ما أهلوا بالحمى  
الله أكبر ما أطافوا خشعا  
وبحجر إسماعيل صلوا وارتقت  
الله أكبر حين حلوا زمزما  
والعرف من عرفات يجمع

تلك الظلال عشية ويكورا  
وتبادلوا التهليل والتكبيرا  
الله قلبا خالصا وضميرا  
صلواتهم نورا يصفح نورا  
وسقوا شراب المؤمنين طهورا  
كالروض يجمع في رباه زهورا

١. ما استبعد ، أى : ما تباعد .

٢. انظر : منبر الإسلام ، السنة (٣٥) ، عدد ذى الحجة عام ١٣٩٧هـ / ص ١٨٠ وما بعدها ، والأبيات من البسيط التام .

شملهم  
ومواكب الأملاك حول دعائهم  
حتى استحال نداؤهم من سحره  
أضحوا جميعا فى الأخوة لا  
ترى  
هذا هو التوحيد وحد بينهم  
عرش السماء فرددت تكبيراً  
نغماً ليضطرب فى الجنان الحورا  
فيهم غنياً أو تحس فقيراً  
فغدوا سواء خادماً وأميراً

نعم ، إن التوحيد قد وحد بينهم ، وجمع شتات قلوبهم حول فكرة واحدة ،  
وحول هدف واحد ، وسوى بين الجميع ، وأخى بينهم ، لأجل ذلك سادواً وعزواً ،  
وخضعت لهم الرقاب ، وأذعن لدعوتهم الطغاة فى أزمان مضت ، وليس بمستغرب  
أن يتحقق لهم ذلك الأمر فى أى زمن شريطة أن يكونوا كما كان السابقون .

ولقد منيت البلاد - فى هذه الفترة<sup>(١)</sup> - بالاحتلال الذى أخذ - بكل عزم وقوة  
- يمزق من شمل البلاد والعباد ما تجمع ، حتى تغيرت أحوال المسلمين ، وأصبح  
بأسهم بينهم شديداً ، وضعفت قوتهم ، وانكسرت شوكتهم ، وقام الشعراء من  
الأزهريين بدور لا يجحد ، حيث قاموا بإيقاظ الوعى ، وتنبيه الغافلين إلى ما صار  
إليه الحال ، حتى يسترجعوا رشدهم . ويفيقوا من سكرة الغفلة ، ويعملوا على  
استرجاع صورة الماضى الجيد .

يقول "أحمد شفيح السيد" من قصيدة له ، نظمها فى يوم المولد النبوى  
الشريف عام ١٩٤٤م صائحاً فى أبناء الأمة العربية والإسلامية<sup>(٢)</sup> :  
ليخلع بنو الإسلام ثوب جمودهم فإن لهم فى المصطفى عبداً

١. فترة النصف الأول من القرن العشرين .  
٢. القصيدة فى : أشهر شعراء الأزهريين ، د. السيد غزالة - ص ٣٩١ ، والأبيات من الطويل .



رقت ملامسها ، وفى أنيابها شبح المنايا والهلاك أقاما

إنه - هنا - يدعو الشعب المصرى إلى وحدة الصف ، ووحدة الفهم لقضايا البلاد ، ويوضح لهم أن الحياة ذميمة حقيرة لا تستحق منهم أن يعيشوا أشقياء تعساء متناحرين جرياً وراء شهرة زائفة ، أو مكسب مادى أو اجتماعى لا يدوم .  
إن المنتظر منهم أن يكونوا يداً واحدة تدفع العدو الظالم عن بلادهم وأرضهم ، لا أن ينقسموا هم على أنفسهم إلى شيع وأحزاب ؛ لأن ذلك مما يمزق الكيان الواحد للأمة الضائعة ، وما بهذه الروح المتنافرة يقوم صرح أو ترفع له عماد .

وليت هذه الأحزاب كانت تعمل كلها لخدمة الشعب المصرى فى تلك الفترة ، إن الشعب الذى وثق بها لم يكن يسمع منها سوى الخطب الرنانة المضللة ، حتى أصبح هؤلاء أشد على البلاد من الأعداء الغاصبين .

يقول الشاعر "محمد الأسمر" فى مناسبة عيد من الأعياد ، جاء والخلاف

مشدد بين هذه الأحزاب ، والقلوب مفعمة بويلاته وآلامه <sup>(١)</sup> .

يقول الناس حل بمصر عيد	أعيد والكنانة فى حداد
ولم أر قبل هذا العيد عيداً	أحق من المآتم بالسواد
يعادى بعضنا بعضاً كأننا	فقدنا فى الكنانة من نعادى !!
أرى الأحزاب قد ضللت	أشد على البلاد من الأعدادى
وصارت	
وبتنا كالقطيع دهاه ذئب	ففرق شمله فى كل وادى
كفى ما كان من فتن غواش	روائح فى الكنانة أو غواد
لقد كدنا نكون وقود نار	تطير شواظها ريح العناد

١. ديوان الشاعر محمد الأسمر - ١٠٠ ، والأبيات من الوافر التام .

حصدنا بذر ذا الخلف فينا فكان حصاده شر الحصاد  
فقوموا للضغائن وانزعوها وسيروا بالبلاد إلى الرشاد

فالأسمر يشرح - فى نعمة حزينة - ما وصلت إليه أحوال البلاد والعباد من سوء ، حيث تحول البشر إلى ماديين بصورة مخيفة ، وأمست أوطانهم أسلاباً لهم يتقاسمون خيراتها فى شره وجشع .

إن أبناء الشعب المصرى ، إذا لم يتحدوا ويصيروا صفًا واحدًا ، فإنهم سوف يصبحون كاليد الشلاء التى لا تقوى على العمل ، ولا تنفع نفسها ، وسيصبحون أدوات هزيلة تستخدم وتمتهن ، فإذا اجتمعت كلمتهم ، واجتمعت آراؤهم ، كانوا قوة ضاربة ، تدفع الشر عن نفسها ، وتنقذ جزءًا من العالم ، وتصيح بلسان القرآن الكريم :

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ  
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾<sup>(١)</sup>

أما حين تلتقى كلمة الأحزاب المصرية على إنقاذ الدستور فى المؤتمر السياسى الذى عقد برئاسة : "سعد زغلول" فى عام ١٩٢٦م ، فإننا نجد الشاعر الأسمر تهتز مشاعره شأن غيره من أبناء مصر لمخلصين سعادةً بهذا الأمر الجليل ، فيقول فى مناسبة عيد من الأعياد ، داعيًا إلى صفاء النفس ، ونشر المحبة ، والسير بمصالح الشعب إلى الأمام بعيدًا عن متاهات المتنافرين ، وطمع الطامعين<sup>(٢)</sup> :

مرحبا بالعيد وافى مرحبا ينشر الفرحة بين الأنفس

١. سورة البقرة : من الآية ٢٠٨ .

٢. انظر : الديوان - ص ٥٧٤ ، والأبيات من بحر الرمل التام (فاعلاتن ، فاعلن ، فاعلاتن) .

جددوا الأفراح فيه والبسوا      من صفاء الروح أبهى الملابس  
واجعلوه عيد حب ووثام      واغرسوا الخيرات عاما بعد عام  
وانهضوا فى ظلها نحو الأمام      وارفعوا رايتكم بين الأنام

وكيف لا ينهض أبناء الأمة الإسلامية ، وأمتهم هى الأمة التى ورثت مسئولية الرسالة بعد موت الرسول ﷺ ، وواجبها أن تقود باسم الله قافلة البشر قيادة تحفظ على العالم الهدى والتقى والعفاف والغنى ، وتقى حضارته الزيع والأثرة والعدوان والضر.

والإسلام بقدر ما دعا إلى الاتحاد وجمع الكلمة ، وجعل ذلك من عوامل الرقى والتقدم ، بل البقاء واستمرار الوجود ، حذر بنفس القدر من التفرق والشقاق ؛ لأن التفرق والشقاق نوع من العذاب يعدل فى تدميره وإهلاكه للأمم العذاب النازل من السماء ، أو الخسف فى الأرض :

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ  
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾<sup>(١)</sup>

وحرصاً على الحفاظ على شخصية الأمة الإسلامية ، نجد شاعر الأزهر "عبد الجواد رمضان" يدعو أبناء الأمة العربية إلى جمع ما تفرق من أمرهم ، والسعى نحو وحدة إسلامية فاضلة ، فيقول من قصيدة له نظمها فى مناسبة الهجرة<sup>(٢)</sup> :

هلموا بنا نجمع شتات جهودنا      فإن اجتماع الرأى للضيم أدفع  
ضمان على العروبة أن نرى      وأعلامنا فوق المجرة ترفع  
دعا الدين ، فلتأت الأمانى      ويا دهر فلتقبل ، ويا عرب

١. سورة الأنعام : من الآية ٦٥ .  
٢. انظر : مجلة الأزهر ، المجلد الثامن ١٩٣٧م - ص ١٢ ، ١٣ ، والأبيات من الطويل .



العشرين كان فيها من المشاكل والقلقل ما يبرر لنا بروز محور الشكوى بروزاً واضحاً بين غيره من المحاور.

فالاستعمار كان لا يزال جاثماً فوق صدر الأمة العربية يغتال آمالها فى كل لحظة ، وينشر من مفاسده وجراثيمه الفتاكه ما يمزق شمل الأمة ، ويذهب بهيبتها فى النفوس كل يوم ، ومما زاد الأمور صعوبة وكرهاً : انقسام ابناء الأمة العربية على أنفسهم شيعاً وأحزاباً متعارضة متناحرة ، حتى بدت صفحة الحياة كئيبة لا تطاق، وكان هذا الوضع من أكبر الدوافع والحوافز التى حدثت بشعر هذه المرحلة إلى أن يفيض بدموع الشكوى ومرارة الألم.

فهذا شاعر الأزهر "محمد الخضر حسين" يبدي مرارة الشكوى مما آل إليه حال المسلمين من تفرق وتمزق وتضارب ، فيقول من قصيدة له ألقاها أمام المقام النبوى تحية ومناجاة للرسول الكريم ﷺ<sup>(١)</sup> :

وأروع ماشق الفؤاد بحسرة	وهاج به الأحزان حتى تقطعا
تخاذل حال المسلمين وما أتى	من الخطب فى أرجائهم
وما شأننا إلا كعقد تناثرت	وتجمعا
فهذا يخاذى <sup>(٢)</sup> فى قضايا نزعة	جواهره فى سطح أحدب
وهذا يصوغ القول فى قالب	أنزع <sup>(٣)</sup>
يرى	تخط وراء الحق للناس مرتعا
وهذا ينادى بالضلالة ماسحا	بجانبه قول الشريعة أوسعا
	بصبغة دين كى يغر ويخدعا

١ . انظر : ديوان "خواطر الحياة" - ص ٨٨ وما بعدها ، والأبيات من الطويل .  
٢ . يقال : نزع نزعاً ، أى انحسر شعره عن جانبي جبهته ، فهو أنزع ، وهى نزاع . (الوجيز ، ص ٦١٠) .  
٣ . خذأ له خذءاً ، وخذوءاً ، أى : خضع وانقاد . (الوجيز ، ص ١٨٨) .

إن ما أصاب المسلمين وانتاب حياتهم فى تلك المرحلة من كدرات ، وما خيم على علاقاتهم من سحب ، لم ينشأ عن عقيدتهم ، ولا عن تعاليم دينهم ، إنما نشأ نتيجة لعدم تحصن المسلمين بمناعة الإيمان ، وغفلتهم عما يدبره له أعداؤهم وخصومهم من غير المسلمين ، مما ساعد إلى حد كبير - على نجاح ألعابهم وخططهم للإيقاع بين المسلمين ، والدس لهم ، ليخربوا العالم الإسلامى من داخله ، وليذيق المسلمون بعضهم بأس بعض ، وفى نفس الوقت يكون أعداء الإسلام فى مأمن من أن يتهمهم أحد بعداوتهم للمسلمين ، وبذلك تنشب العداوة بين المسلمين ، وينسون أعداءهم الحقيقيين فى خضم الطيش والتسرع ، بل قد ينفقاد بعضهم ويخضع للعدو ، ويصير أداة مستعملة ضد إخوانه المسلمين ، وهذا من شر ما تمنى به البلاد ، وتذهب النفس عليه حسرات .

وأمام هذه الموجة الجارفة من الانقسام الذى أصاب جسد الأمة الإسلامية ، طغت كثير من مظاهر الفساد والانحلال التى أخذت تنخر فى عظام المجتمع ، مما جعل الشاعر "إبراهيم بديوى" يجأ إلى الله بالشكوى من حال الشباب المسلم الذى ترك الأخذ بتعاليم دينه ، وتهافت على بهرج الحضارة الأوربية الخادع ، وقلدها فى كل شيء .

يقول من قصيدة له ، نظمها فى مناسبة الهجرة النبوية الشريفة<sup>(١)</sup> :

المسلم اليوم استجاب إلى الهوى      وتتبع الغرب الخايع وقلدا  
شاد الرسول له المجادة فانبرى      ليذك ما أعلى الرسول وشيدا

١ . البيديويات : الجزء الأول - ص ٢٢ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .



فمن قصص تعاطى قارئها  
ومن صور تأثير هوى وتحدو  
أما لشباب أحمد أن يذودوا  
هى الشكوى يرددها لسان  
شرابا ديف بالسم الزعاف<sup>(١)</sup>  
نفوسا كالبذور إلى محاق<sup>(٢)</sup>  
خطوبا كالمطاعن فى التراقى<sup>(٣)</sup>  
وما بين الجوانح فى احتراق

إن صياح الغراب إذا كان مذموماً ، فأشأم منه ما اتخذوه من وسائل للتغيير  
بالتفتيات والإيقاع بهن فى مهاوى التحلل والعصيان والضياع ، فقد دعوا إلى  
الاختلاط بين الجنسين فى نظام التعليم ، واعتبروا مادون ذلك رجعية لا تتفق مع  
الرقى الحضارى<sup>(٤)</sup> كما نشروا القصص والروايات والصور التى تثير الغرائز الجنسية  
لدى الشباب فى مجتمعنا الإسلامى .

لذا فالشاعر يشكو من كل هذه الأوضاع ، وقلبه يقطر ألماً ، ولا ينسى أن يدعو  
الشباب المسلم إلى أن يأخذ حذره ، ويتنبه إلى ما يدبره له الغرب الملحد .  
وتظهر مسحة الحزن واضحة على الشاعر حينما يشكو إلى الرسول ﷺ تخاذل  
المسلمين وصمتهم القاتل الذى يلوذون به ، فى حين أن أعداءهم متيقظون يدبرون  
لهم المكائد ، ويتربصون بهم الدوائر .

يقول<sup>(٥)</sup> :

ولا أدرى أقومى فى سبات  
فأرجو صحوهم أم فى سياق<sup>(٦)</sup>

- ١ . النعاق : صياح الغراب ، والعرب تتشائم به .
- ٢ . ديف ، أى : خلط .
- ٣ . المحاق : آخر الشهر القمري حيث تشتد الظلمة .
- ٤ . ديوان خواطر الحياة - ١١٨ وما بعدها ، والأبيات من الوافر التام .
- ٥ . راجع : ظلام من الغرب ، الغزالي - ١٥٢ .
- ٦ . ديوان خواطر الحياة - ١١٨ .

فأشيع الضلال اليوم صالوا بألسنة وأقلام حماق<sup>(١)</sup>  
 وهم ما بين إحداد وقاح وإحداد تقنع بالنفاق<sup>(٢)</sup>  
 وفى عام ١٩٤١م تجيء مناسبة مولد الرسول ﷺ ، والعالم أشبه ما يكون  
 ببركان تتفجر جنباته بنيران الحروب والخلافات بين الدول الاستعمارية الكبرى ،  
 وذاق العرب ويلات هذه الحروب وتحملوا مرارتها ، ونالهم منها كثير من التدمير  
 والتخريب بسبب موقعهم الجغرافى ، ومواردهم الاقتصادية ، حتى ضاعت  
 الحقوق، وفقد الناس الأمن والسلام ، يقول "البديوى" مخاطبًا يوم ميلاد الرسول ﷺ،  
 ومصورًا هذه المآسى<sup>(٤)</sup> :

أقبل بوجهك مشرقا بساما	وامح الشرور ، وبدد الأثاما
واخلع على الأيام بهجتها فقد	طغت الحروب فأشقت الأياما
وارفع لواء الحق فى دنيا هوت	فيها الحقوق وأصبحت
دنيا استبد بها القوى وأصبحت	أوهاما
	فيها الحياة على الفقير حراما

ثم يشير إلى الحروب التى عمت العالم بويلاتها ، فيقول :

نار الحروب بها تطاير شرها	ومشى لظاها محرقا هداما
انظر إلى الآفاق تلق طوائرا	تلقى الحتوف وتقذف الآلاما
وانظر إلى لجج البحار تجد بها	سفنا تغوص وتنفت الألاما
وانظر إلى الأرضين تلق	تتسلق الأسوار والآكاما
زواحف	
وتجد مدافع لا يدوى مدفع	إلا يدوى الموت منه زؤاما

١. يقال : ساق المريض سيقًا ، أى : شرع فى نزع الروح .

٢. حماق ، جمع : أحمق .

٣. وقاح ، أى وقح .

٤. انظر : البديويات ، الجزء الأول - ص ٣٢ : ٣٤ .



وهي أشعار في جملتها تشير إلى مواكبة شعراء الأزهر للأحداث والوقائع التي مر بها وطنهم ، وتعبيرهم عن كل ذلك تعبيراً صادقاً ينقل إلينا الظروف والملابسات كأننا نعيشها ونلمسها .

ولا أريد أن أغفل عن الإشارة إلى أن شعر الشكوى له اتجاهات كثيرة ومتنوعة ، كالشكوى من ألام الحب وما تسببه للإنسان من إرهاق وسهر ، والشكوى من غدر الأصدقاء والزمان ، ولكن هذه الاتجاهات لم تظهر في شعر المناسبات الدينية ؛ لأن المقام فيها قد لا يتسع لذلك .

## ٦. النصح والتوجيه :

أدب النصح - عند شعراء الأزهر - لون رفيع من أدب الذات ، يستمدونه من نبع ديني ، وفيض إسلامي ، فهم يقدمون النصح بالحسنى إلى كل من يحتاج إليه ، وقد رأينا كثرة هائلة من أدب النصح لدى الشعراء الأزهريين في تلك المرحلة ، ولعل السرف في هذه الكثرة يرجع إلى : ما رآه شعراء الأزهر في هذه المرحلة من الأطماع الاستعمارية الجارفة التي حدقت بالبلاد ، وما اصطحبه هذا الاستعمار معه من مظاهر الفساد والانحلال ، ثم عمله الدائب على تفتيت وحدة الأمة العربية ، وتحطيم كيانها ، وهدم مبادئ الإسلام حتى تكون له الهيمنة والغلبة ، ويتمكن من رفع رايته فوق الجميع ، وأمام هذه الحملات الشرسة لم يكن من المعقول أن يقف الشعراء موفقاً سلبياً ، ولا سيما شعراء الأزهر ، الذين يحملون بين جوانحهم الغيرة والحمية على الإسلام وأوطان المسلمين ، أينما كانت .

من أجل ذلك قام شعراء الأزهر بالدور المنوط بهم من توجيه الشعوب الوجهة السليمة ، وتقديم النصح لهم ، وساعدهم على ذلك ثقافتهم الدينية الواسعة ، ومعايشتهم للظروف والأحداث عن قرب .

فهذا شاعر الأزهر، إبراهيم بديوى ، يقف ناصحاً شباب الإسلام بآلا ينخدعوا بما يقدمه لهم الغرب من وسائل الهدم وإشاعة الفوضى مستخفياً فى كل ذلك تحت شعار "التجديد" أو "التطوير" ، ويوجههم إلى الاتجاه نحو دستور الحياة الخالد ، القرآن الكريم الذى هو حبل النجاة .

يقول من قصيدة له فى مناسبة المولد النبوى عام ١٩٤١م<sup>(١)</sup> :

لا يخذعنكم الجديد وخبه	وخذوا سبيلا فى الحياة قواما
واستلهموا القرآن فهو منارة	تهدى الزمان إذا الزمان
وقفت على رأس الدهور	توحى الضياء وترسل
عزيرة	الإلهام
لا تسعد الدنيا إذا لم تتخذ	من هديها الدستور والأحكاما

فالقرآن الكريم هو الآية الخالدة ، التى مرت عليها قرون وأجيال ، وهى لم تنزل بعد جديدة ناضرة ترسل الهداية ، وتسعد الخلق على كثرتهم ، لذا كان لزاماً علينا أن نلجأ إلى القرآن فى كل شيء ، تاركين ماعداه من القوانين الوضعية التى صنعها البشر لإبعاد الناس عن منهل القرآن .

١ . انظر : البديويات ، الجزء الأول - ص ٣٥ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .

وينصح الشاعر "عبد الجواد رمضان" أبناء الشرق الإسلامي ، ويعلمهم أنهم لو فتشوا في حضارتهم العلمية السالفة ، ونقبوا في أعمال أجدادهم القدماء ، لوجدوا من العلوم والمعارف وأسباب التطور ما هو أفضل مما يتيه به الغرب الملحد ، ويضع نفسه به في عداد السابقين .

يقول من قصيدة له في مناسبة الهجرة الشريفة<sup>(١)</sup> :

بنى الشرق ، هذا الغرب قد طار	يطاول زهر النيرات ويفرع
مجده	
مفاته تسبى العقول ، وسحره	يروق العيون الناظرات فتتبع
وللشرق آداب بناها قديمة	تسن سبيل المكرمات وتشرع
هي السؤدد الباقي على الدهر	هي الدر في اللبات ، بل هي
فخره	أبـدع <sup>(٢)</sup>
فإن لم تصنها عزة عربية	مضى ببناها سيله المتدفع <sup>(٣)</sup>

إن حضارة المسلمين في فنون الحياة في أنحاء العمران لم تجئ إلا بعد تشبعهم بالثقافة الإسلامية وتذوقهم لما فيها من حرية وانطلاق وسماحة ، فلما فسدت هذه الثقافة في أيديهم ، أو لما عجزوا عن التحليق إليها والإفادة منها ، باءوا بالفشل في أحوالهم جميعاً .

وتبدو خطأ الشاعر الأزهرى ، أحمد شفيح السيد ، واضحة المعالم حين يؤكد كلام سابقه ، مؤكداً أن الإسلام أساس كل علم ، وأساس كل حضارة ومدينة ،

١. انظر : البديويات ، الجزء الأول - ص ٣٥ وما بعدها ، والأبيات من الكامل التام .  
٢. اللبات : موضع القلادة في العنق .  
٣. الضمير في "سيله" يعود على "الغرب" .



ويرموا للسيادة عن قسى      من الإيمان والتقوى رشاق  
كفى ما قد خسرنا من شباب      رأوا سوق الخلاعة فى نفاق  
فغادوها ، وكيف ترى فراشا      تهافت فى لظى النار الحراق<sup>(١)</sup>  
وما للنفس إن ركبت هواها      وحطت فى المجانة من خلاق<sup>(٢)</sup>

فالشاعر هنا يثير الحماس فى قلوب الشباب المسلم ، ويهيب به أن ينهض ويواجه تلك المطاعن المسمومة التى توجه إلى دينه فى كل لحظة ، ليس هذا واجب الشباب فحسب ، بل واجب كل المسلمين أن يقفوا ضد هذه الدعوات الباطلة لخطورتها وتأثيرها فى النفوس ، ولا سيما أن كثيراً من الشباب قد تهافتوا على سبل الإغراء كتهافت الفراش على ضوء النار ، فكان مصيرها الإحراق ، وهذا هو مصير كل نفس ركبت هواها واتبعت شهواتها .

ويأتى شاعر الأزهر الكبير ، محمد الأسمر ، فىرى الأحوال قد ساءت بين أبناء مصر ، وأنهم قد تحولوا إلى شيع وأحزاب متعادية متنافرة ، يحاول كل حزب منها أن يهدم الآخر ، ويقوم هو على أنقاضه ، حتى أصبحوا - بذلك - أشد على البلاد من الأعدى !

ويقدم الشاعر نصيحته إلى أبناء هذا الشعب ، الذى أرهقه الخلاف والعناد ، طالباً منهم أن يطهروا قلوبهم من الأحقاد ، وأن يعملوا جميعاً لخدمة أهداف الوطن ...

١ . النار الحراق : هى النار التى لا تبقى شيئاً .  
٢ . حطت فى المجانة : اندفعت فيها . من خلاق : من حظ فى الخير .

يقول في مناسبة عيد من الأعياد<sup>(١)</sup> :

فقدنا في الكنانة من نعادي	يعادي بعضنا بعضا كأننا
أشد على البلاد من الأعادي	أرى الأحزاب قد ضلت
	وصصارت
ففرق شمله في كل وادي	وبتنا كالقطيع دهاه ذئب
روائح في الكنانة أو غوادي	كفى ما كان من فتن غواش
تطير شواظها ريح العناد	لقد كدنا نكون وقود نار
فكان حصاده شر الحصاد	حصنا بذر هذا الخلف فينا
وسيروا بالبلاد إلى الرشاد	فقوموا للضغائن وانزعوها

وإذا كان صادق الحب يملئ صادق الكلم ، فإن نصح الشاعر الأسمر لأبناء وطنه الحبيب لم يكن مجرد أقوال تنظم ، أو خواطر تنشد ، وإنما كان إيماناً يعمر قلبه ، وحباً يمازج دمه ، وحسا يخالط فكره وكيانه ، وإن كان هذا لا ينفي حب غيره من شعراء الأزهر لوطنهم في تلك المرحلة .

وإننا لنشعر بكثير من النشوة حين نقرأ تلك الأبيات ؛ لما فيها من دقة وبراعة في تصوير حالة الخلاف والشقاق التي سيطرت على أبناء مصر حقبة من الزمن ، ولا أكاد أقرأ هذا النص في وقت من الأوقات ، إلا ورن في أدنى ووجداني قول أمير الشعراء في نفس المعنى<sup>(٢)</sup> :

وهذى الضجة الكبرى علما ؟	إلام الخلف بينكم ؟ إلا ما ؟
وتبدون العداوة والخصاما ؟	وفيم يكيد بعضكم لبعض
على محتلة كانت سلاما	شبيتم بينكم في القطر نارا

١. انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر / ص ١٠٠ ، والأبيات من الوافر التام .

٢. انظر : ديوان الشاعر محمد الأسمر / ص ١٠٠ ، والأبيات من الوافر التام .



إن سقاك الماء فاترك ورده  
ولتمت ظمآن حرا كالحسين  
لا تصدق منه ما تسمعه  
فهو تخدير مبيد للبشر  
واحذر الكحل الذى يصنعه  
إنه لكحل الذى يعمر البصر

وهكذا رأينا معاً شعراء الأزهر، فى النصف الأول من القرن العشرين يحملون على عواتقهم مهمة كبرى وجليلة، حيث سعوا - من خلال إنتاجهم الشعري فى المناسبات الدينية المختلفة - إلى إبراز مزايا الإسلام فى قوته وصفائه، والدعوة إلى إتباع تعاليمه التى تعتبر أقوم تعاليم، ثم الدفاع عن مزايا الإسلام، ودحض مفتريات خصومه المعاصرين، ثم الدعوة إلى القوة واليقظة، والوحدة والتماسك، والاستمسك بكمكارم الأخلاق، ثم محاربة الانحلال والإلحاد وعوامل الفرقة والشقاق، ثم تقديم النصيحة الخالصة لأبناء الإسلام والعروبة، ودعوتهم إلى التنقيب فى مجدهم السالف الذى كان يحاط بسياس من العزة والمنعة والإباء.

وقد اتخذ شعراء الأزهر من هذه المناسبات الدينية متنفساً لإبراز ما يؤرق حياتهم، ويقض مضاجعهم، ومنطلقاً لإثبات دور الشعر وأهميته فى الإصلاح والتقويم.